سورة المجادلة

مدنيـــة وآياتها ثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤)

شرح الكلمات :

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها : أي تراجعك أيها النبي في شأن زوجها أوس بن الصامت.

وتشتكي إلى الله : أي وحدتها وفاقتها وصبية صغاراً إن ضمتهم إليه ضاعوا وإن ضمهم إليها جاعوا.

والله يسمع تحاوركما : أي تراجعكما أنت أيها الرسول والمحاورة لك وهي خولة بنت ثعلبة.

إن الله سميع بصير : أي لأقوالكما بصير بأحوالكما.

الذين يظاهرون منكم من نسائهم : أي يحرمون نساءهم بقول أنت عليَّ كظهر أمي.

ما هن أمهاتهم : أي ليس هن بأمهاتهم.

إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم : ما أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم، أو أرضعنهم.

وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً : أي وإنهم بالظهار ليقولون منكراً من القول وزوراً أي كذباً.

وإن الله لعفو غفور : أي على عباده أي ذو صفح عليهم غفورٌ لذنوبهم إن تابوا منها.

والذين يظاهرون من نسائهم[1] : أي بأن يقول لها أنت عليّ كظهر أمي أو أختي ونحوها من المحارم.

ثم يعودون لما قالوا : أي يعزمون على العودة للتي ظاهروا منها، إذ كان الظهار في الجاهلية طلاقاً.

فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا : أي فالواجب عليه تحرير رقبة مؤمنة قبل أن يجامعها.

ذلكم توعظون به : أي تؤمرون به فافعلوه على سبيل الوجوب.

فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين : أي فمن لم يجد الرقبة لانعدامها أو غلاء ثمنها فالواجب صيام شهرين متتابعين.

من قبل أن يتماسا : أي من قبل الوطء لها.

فمن لم يستطع : أي الصيام لمرض أو كبر سن.

فإطعام ستين مسكيناً : أي فعليه قبل الوطء، أن يطعم ستين مسكيناً يعطى لكل مسكين مداً من[2] بر أو مدين من غير البر كالتمر والشعير ونحوهما من غالب قوت أهل البلد.

ذلك : أي ما تقدم من بيان حكم الظهار الذي شرع لكم

لتؤمنوا بالله ورسوله : أي لأن الطاعة إيمان والمعصية من الكفران.

---

(١) قرأ نافع (يظّهّرون) أصلها (يتظهرون) فادغمت التاء في الظاء فصارت يظّهرون بتشديد الظاء والهاء وقرأ حفص (يظاهرون).

(٢) وردت روايات متعددة في كمية الإطعام الإجماع على أنها إطعام ستين مسكيناً، وإنما الخلاف في المقدار، فأظهرها وأصحها حديث البخاري وفيه: (فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعا. فتصدق بها على ستين مسكيناً فهذا ظاهر في انها ستون مدّاً لكل مسكين مدّ لأن الخمسة عشر صاعاً بستين مدّاً إذ الصاع أربعة أمداد بمد النبي ﷺ.

وتلك حدود الله : أي أحكـام شرعـه .

وللكافرين عذاب أليم : أي وللكافرين بها الجاحدين لها عذاب أليم أي ذو ألم .

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿قد سمع الله﴾ هذه الآية الكريمة نزلت في خولة بنت ثعلبة الأنصارية وفي زوجها أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت رضي الله عنهم أجمعين كان قد ظاهر منها زوجها أوس، فقال لها في غضب غير مغلق أنت عليّ كظهر أمي، وكان الظهار يومئذٍ طلاقاً، وكانت المرأة ذات أطفال صغار وتقدم بها وبزوجها السن فجاءت لرسول الله ﷺ تشكو إليه ما قال زوجها فذكرت للرسول ﷺ ضعفها[1] وضعف زوجها وضعف أطفالها الصغار، وما زالت تراجع الرسول ﷺ وتحاوره في شأنها وشأن زوجها حتى نزلت، هذه الآيات الأربع من فاتحة سورة المجادلة التي سميت بها السورة فقيل سورة المجادِلة بكسر الدال، ويصح فتحها فقال تعالى مُخاطباً رسوله ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ أي قد سمع الله قول المرأة التي تجادلك أي تراجعك في شأن زوجها الذي ظاهر منها، وتشتكي إلى الله بعد أن قلت لها: والله ما أمرت في شأنك بشيء، تشكو إلى الله ضعف حالها. ﴿والله يسمع[2] تحاوركما﴾ أي مراجعتكما لبعضكما بعضاً الحديث وأجابكما﴿إن الله سميع بصير﴾ أي سميع لأقوال عباده عليم بأحـوالهم وهـذا حكم الظهار فافهموه واعملوا به.

أولاً: أن الظهار الذي هو قول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمي لا يجعل المظاهر منها أمّاً له إذ أمه هي التي ولدته وخرج من بطنها، والزوجة لا تكون أمّاً بحال من الأحوال.

ثانياً: هذا القول كذب وزور ومنكر من القول وقائله آثم فليتب إلى الله ويستغفره.

ثالثاً: لولا عفو الله وصفحه على عباده المؤمنين ومغفرته للتائبين لعاقبهم على هذا القول الكذب الباطل.

رابعاً: على الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا أي يعزمون على وطئها بعد الظهار منها فالواجب عليهم قبل الوطء لها تحرير رقبة ذكراً كانت أو أنثى صغيرة أو كبيرة لكن مؤمنة لا كافرة، فمن لم يجد الرقبة لانعدامها، أو غلاء ثمنها فيجزئه صيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع لعلة قامت به فالواجب إطعام ستين مسكيناً يعطى كل مسكين مدّاً من برّ أو نصف صاع من

---

(١) من جملة ما روي أنها قالت: يارسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، فقال لها رسول الله ﷺ: ما أوحي إليّ في هذا شيء فقالت: يا رسول الله أوحي إليك في كل شيء وطوي عنك هذا؟ فقال: هو ماقلت لك فقالت: إلى الله أشكو لا إلى رسوله فأنزل الله (قد سمع الله..) الخ.

(٢) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها).

غير البر كالشعير والتمر ونحوهما كل ذلك من قبل أن يتماسّا من باب حمل المطلق على المقيد إذ قيد الأول بقبل المسيس[1] فيحمل هذا الأخير عليه.

وقوله ﴿ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أي ذلك الذي تقدم من بيان حكم الظهار[2] شرعه لكم لتؤمنوا بالله ورسوله إذ الإيمان اعتقاد وقول وعمل، فطاعة الله ورسوله إيمان ومعصيتهما من الكفران. وقوله تعالى ﴿وتلك حدود الله﴾ أي لا تعتدوها بل قفوا عندها وللكافرين بها المتعدين لها عذاب اليم أي ذو ألم موجع جزاء تعديهم حدود الله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ إجابة الله لأوليائه بتفريج كروبهم وقضاء حوائجهم فله الحمد وله الشكر.

٢ـ حرمة الظهار باعتباره منكراً وكذباً وزوراً فيجب التوبة منه.

٣ـ بيان حكم المظاهر وهو أن عليه عتق رقبة قبل أن يجامع امرأته المظاهر منها. فإن لم يجد الرقبة المؤمنة صام شهرين متتابعين من الهلال إلى الهلال وإذا انقطع التتابع لمرض بنى على ما صامه. فإن لم يستطع لمرض ونحوه أطعم ستين مسكيناً فأعطى لكل مسكين على حدة مدّاً من بر أو مدين من غير البر كالشعير والتمر.

٤ـ لو جامع المظاهر قبل إخراج الكفارة أثم فليستغفر ربّه وليخرج كفارته. ولا شيء عليه لحديث الترميذي الصحيح.

٥ـ طاعة الله ورسوله إيمان، ومعصية الله ورسوله من الكفران.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ

---

(١) من مس امرأته قبل الكفارة فليكف عنها مرة أخرى حتى يكفر لحديث النسائي: (أن رجلا ظاهر من امرأته ولم يكفر حتى وطئها فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأمره ألا يقربها حتى يكفّر).

(٢) هل على المرأة إذا ظاهرت من زوجها شيء؟ الجمهور: أنه لا شيء عليها وإن كفرت كفارة يمين فذلك اللائق بها.

مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

إن الذين يحادون الله ورسوله : أي يخالفون الله ورسوله ويعادونهما .

كُبتوا كما كبت الذين من قبلهم : أي ذُلّوا وأهينوا كما ذل وأهين من قبلهم لمخالفتهم رسولهم .

وقد أنزلنا آيات بينات : أي والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات دالة على صدق الرسول .

عـذاب مهيـن : أي يوقعهم في الذل والهوان .

يوم يبعثهم الله جميعاً : أي يوم القيامـة .

أحصاه الله ونسوه : أي جمعه وعدّه ونسوه هم .

والله على كل شيء شهيد : أي لا يغيب عنه شيء من الأشياء .

ما يكون من نجوى : أي من متناجين .

ثلاثة إلا هو رابعهم : إلا هو تعالى رابعهم بعلمه بهم ، وقدرته عليهم .

ولا أدنى من ذلك : أي أقل من الثلاثة وهما الاثنان .

إلا هو معهم أينما كانوا : أي في أيّ مكان من الأرض أو السماء .

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ هذه الآية تحمل بشرى لرسول الله ﷺ بإعلامه بهزيمة قريش وهي تحزب الأحزاب لحربه في غزوة الخندق فقال تعالى ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾[1] أي يخالفون الله ورسوله ويعادونهما كُبتوا[2] أي ذُلوا وأهينوا كما كبت الذين من قبلهم الذين كذبوا رسلهم فأكبتهم الله أي أذلهم وأهانهم .

وقوله تعالى : ﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ كلها دالة على صدق رسولنا فيما جاءهم به ودعاهم

---

(١) المحادة والمشاقة والمعاداة متقاربة المعنى فالمحاد الواقف في حد وخصمه في آخر، وكذا المشاقّ: هو في شق والآخر في شق مقابل، وكذا المعادي هو في عدوة والآخر في أخرى مقابلة له، والعدوة: هي عدوة الوادي أحد جانبيه .

(٢) الكبت: الخزي والإذلال، وعبر في الآية بالماضي (كبتوا) لتحقق وقوعه كقوله تعالى : (أتى أمر الله) .

إليه، ومع هذا عادوه وحاربوه فلهذا يكبتهم الله ويذلهم في الدنيا وللكافرين[1] أمثالهم عذاب مهين يوم القيامة يوم[2] يبعثهم الله جميعاً لا يتخلف منهم أحد فينبئهم بما عملوا من الشر والفساد. أحصاه الله إذ كتبته ملائكته وكتب قبل فعلهم له في كتاب المقادير اللوح المحفوظ ونسوه لِعَمَى قلوبهم وكفرهم بربهم ولقائه فلا يذكرون لهم ذنباً حتى يتوبوا منه ويستغفروا. وقوله تعالى ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ أي زيادة على أن أعمالهم كتبها في اللوح المحفوظ وأن الملائكة من الكرام الكاتبين قد كتبوها فإن الله تعالى شهيد على كل شيء فلا يقع شيء إلا تحت بصره وعلمه.

وقوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات﴾ تقرير لما سبق من إحاطة علم الله بكل شيء وأن أعمال أولئك المخالفين المحادين محصية معلومة وسيجزيهم بها. أي ألم تعلم يا رسولنا أن الله تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض من دقيق الأشياء وجليلها ورد أن جماعة من المنافقين تخلفوا يتناجون بينهم إغاظة للمؤمنين فنزلت هذه الآية تعرض بهم وتكشف الستار عن نياتهم. ﴿ما يكون من نجوى[3]﴾ أي من ذوي نجوى أو من متناجين ثلاثة إلا وهو رابعهم، أي إلا والله تعالى رابعهم بعلمه بهم وقدرته عليهم وهذه فائدة المعية العلم والقدرة على الأخذ والعطاء، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك كالأثنين، ولا أكثر إلا هو معهم بعلمه وقدرته وإحاطته أينما كانوا تحت الأرض أو فوقها في السماء أو دونها، ثم ينبئهم أي يخبرهم ويعلمهم بما عملوا يوم القيامة ليجزيهم به ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ تقرير لما سبق من علمه بالمحادين له وبالمنافقين المناوئين للمؤمنين وسيجزى الكل بعدله وهو العزيز الحكيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وعيد الله الشديد بالإكبات والذل والهوان لكل من يحاد الله ورسوله.

٢ـ إحاطة علم الله بكل شيء وشهوده لكل شيء وإحصاه لكل أعمال العباد حال توجب مراقبة الله تعالى والخشية منه والحياء منه أشد الحياء.

٣ـ الإرشاد إلى أن التناجى للمشاورة في الخير ينبغي أن يكون عدد المتناجين ثلاثة أو خمسة

---

(١) الجملة معطوفة على جملة (كبتوا) و(الـ) في الكافرين: للجنس ليعم الوعيد كل كافر.

(٢) يجوز أن يكون (يوم) متعلقاً بالكون المقدر الذي تعلق به (للكافرين عذاب مهين) اي للكافرين عذاب مهين (يوم يبعثهم الله) وجائز أن يكون منصوباً على تقدير فعل اذكر كما هو شائع في أمثاله.

(٣) النجوى اسم مصدر فعله: ناجاه يناجيه مناجاة واسم المصدر نجوى فهو بمعنى التناجي أي: ما يكون تناجي ثلاثة من الناس إلا الله مطلع عليهم كرابع لهم وكل سرار نجوى.

أو سبعة ليكون الواحد عدلا مرجحا للخلاف قاضيا فيه إذ اختلف اثنان لابد من واحد يرجح جانب الخلاف وإذا اختلف اربعة لابد من خامس يرجح جانب الخلاف .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى : أي المسارة الكلامية والمنهيون هم اليهود والمنافقون .

ثم يعودون لما نهوا : أي من التناجى تعمداً لأذية المؤمنين بالمدينة .

ويتناجون بالإثم والعدوان : أي بما هو إثم في نفسه ، وعداوة الرسول والمؤمنين .

ومعصية الرسول : أي يتناجون فيوصى بعضهم بعضاً بمعصية الرسول وعدم طاعته .

وإذا جاءوك حيوك : أي جاءوك أيها النبي حيوك بقولهم السام عليك .

بما لم يحيك به الله : أي حيوك بلفظ السام عليك ، وهذا لم يحيى الله به رسوله بل حياه بلفظ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

ويقولون في أنفسهم : أي سراً فيما بينهم.
لولا يعذبنا الله بما نقول : أي هلا يعذبنا الله بما نقول له، فلو كان نبياً لعاجلنا الله بالعقوبة.
حسبهم جهنم يصلونها : أي يكفيهم عذاب جهنم يصلونها فبئس المصير لهم.
فلا تتناجوا بالإثم والعدوان : أي فلا يناج بعضكم بما هو إثم ولا بما هو عدوان وظلم ولا بما هو معصية للرسول.
وتناجوا بالبر والتقوى : أي وتناجوا إن أردتم ذلك بالبر أي الخير والتقوى وهي طاعة الله والرسول.
إنما النجوى من الشيطان : أي إنما النجوى بالإثم والعدوان من الشيطان أي بتغريره.
ليحزن الذين آمنوا : أي ليوهمهم انها بسبب شيء وقع مما يؤذيهم.
وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله : ألا وليس التناجي بضار المؤمنين شيئاً إلا بإرادة الله تعالى.
وعلى الله فليتوكل المؤمنون : أي وعلى الله لا على غيره يجب أن يتوكل المؤمنون.

معنى الآيات :

قوله تعالى ألم تر الآية.. هذه نزلت في يهود المدينة والمنافقين فيها. إذ كانوا يتناجون أي يتحدثون سرّاً على مرأىً من المؤمنين، والوقت وقت حرب فيوهمون المؤمنين إن عدواً قد عزم على غزوهم، أو أن سرية هزمت أو أن مؤامرة تحاك ضدهم فنهاهم رسول الله ﷺ عن التناجي، وقال لا يتناج اثنان دون[1] ثالث وأبوا إلا أن يتناجوا فأنزل الله تعالى هذه الآية يعجب رسوله منهم ويوعدهم بعد فضحهم وكشف الستار عن كيدهم للمؤمنين ومكرهم بهم فقال تعالى لرسوله ألم تر إلى الذين[2] نهوا عن النجوى وهي التناجي المحادثة السرية أمام الناس، ثم يعودون لما نهوا عنه عصياناً وتمرداً عن الرسول ﷺ، ويتناجون لا بالبر والتقوى، ولكن بالإثم والعدوان ومعصيت[3] الرسول أي بما هو إثم في نفسه كالغيبة والبذاء في القول، وبالعدوان وهو الاعتداء على المؤمنين وظلمهم، وبمعصية الرسول فيوصي بعضهم بعضاً بعصيان الرسول وعدم طاعته في أمره ونهيه. هذا وشرٌ منه أنهم إذا جاءوا رسول الله ﷺ حيّوه بما لم يحيه به الله فلم يقولوا السلام عليكم ولكن

(١) الحديث ثابت في الصحيح وفي الموطأ قوله ﷺ: (إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون واحد) وفي الحديث دليل على التحريم ونظيره: أن يتكلم اثنان بلغة غير لغة الثالث فإنه كنجوى اثنين دون ثالث.

(٢) الاستفهام للتعجيب والمراد به توبيخ اليهود الذين نزلت الآية فيهم مع إخوانهم المنافقين.

(٣) كتبت (معصيت) بالتاء المفتوحة دون المربوطة التي يوقف عليها بالهاء في موضعين من هذه السورة، ويوقف عليها بالهاء ويجوز بالتاء وأما في الوصل فلا بد من التاء.

يقولون السام عليكم والسام الموت يلوون بها ألسنتهم، ويأتون الرسول واحداً واحداً ليحيوه بهذه التحية الخبيثة ليدعوا عليه بالموت لعنة الله عليهم ما أكثر أذاهم وما أشد مكرهم وما أنتن خبثهم ويقولون في أنفسهم أي فيما بينهم لو كان محمد نبياً لآخذنا الله بما نقول له من الدعاء عليه بالموت وهذا معنى قوله تعالى عنهم: ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ أي هلاّ عذبنا الله بما نقول لمحمد ﷺ لو كان نبياً.[1] قال تعالى حسبهم[2] عذاباً جهنم يصلونها يحترقون بحرها ولظاها يوم القيامة فبئس المصير الذي يصيرون إليه في الدار الآخرة جهنم وزقومها وحميمها وضريعها وغسلينها ويحمومها وفوق ذلك غضب الله ولعنته عليهم.

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم﴾ هذه الآية والتي بعدها نزلت في تربية المؤمنين روحياً وتهذيبهم أخلاقياً فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أي صدقوا الله ورسوله إذا تناجيتم لأمر استدعى ذلك منكم فلا تتناجوا[3] بالإثم والعدوان ومعصية الرسول فتكون حالكم كحال اليهود والمنافقين ولكن ﴿تناجوا بالبر والتقوى﴾ أي بما هو خير في نفسه لا إثم فيه وبطاعة الله ورسوله إذ هما التقوى، واتقوا الله الذي إليه تحشرون يوم القيامة لمحاسبتكم ومجازاتكم فاتقوه بطاعته وطاعة رسوله.

وقوله تعالى: ﴿إنما النجوى من الشيطان﴾ أي هو الدافع إليها والحامل عليها وذلك لعلة وهي أن يوقع المؤمنين في غم وحزن، وليس التناجي ولا الشيطان بضار المؤمنين شيئاً إلا بإرادة الله تعالى لحكم عالية يعلمها الله، ولذا فلا تحزنوا ولا تغتموا لما ترون من تناجي أعدائكم من اليهود والمنافقين، وتوكلوا على الله في أموركم كلها. وعلى الله تعالى لا على غيره فليتوكل المؤمنون في كل زمان ومكان. فإن الله تعالى كافٍ من يتوكل عليه كافيه كل ما يهمه والله على ذلك قدير.

---

(١) قال ابن العربي: جهل هؤلاء اليهود أن الله تعالى حليم لا يعاجل بالعقوبة من سبه فقد قال ﷺ (لا أحد أصبر على الأذى من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم).

(٢) روى الترمذي وصححه عن أنس (أن يهودياً أتى على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه فقال: السام عليكم. فردّ عليه النبي ﷺ وقال أتدرون ما قال هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال كذا ردوه عليّ فردوه فقال: قلت السام عليكم؟ قال: نعم فقال النبي عند ذلك إذا سلّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: عليك ما قلت، فأنزل الله تعالى (وإذا جاؤوك) الآية.

(٣) الجمهور أن حرمة تناجي الاثنين دون الثالث والثلاثة دون الرابع وهكذا هو باقٍ على تحريمه وليس مخصوصاً بحالة الحرب كما في عهد رسول الله ﷺ لأن ألفاظ الحديث عامة. منها حديث الصحيح عن ابن عمر: (إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد). وقوله ﷺ (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان مكر اليهود والمنافقين وكيدهم للمؤمنين في كل زمان ومكان .

٢ـ إذا حيا الكافرُ المؤمنَ ورد عليه المؤمنُ رد عليه بقوله وعليكم لما صح أن النبي ﷺ دخل عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أباالقاسم فقال ﷺ وعليكم. فقالت عائشة رضى الله عنها عليكم السام ولعنكم[1] الله وغضب عليكم. فقال لها عليه الصلاة والسلام يا عائشة عليك بالرفق وإياكِ والعنف والفحش فقالت ألا تسمعهم يقولون السام؟ فقال لها أو ما سمعت ما أقول: وعليكم. فأنزل الله هذه الآية رواه الشيخان .

٣ـ إذا سلم الذميّ وكان سلامه بلفظ السلام عليكم لا بأس أن يرد عليه بلفظه .

٤ـ حرمة التناجى بغير البر والتقوى لقوله تعالى إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس الآية من سورة النساء.[2]

٥ـ لا يجوز أن يتناجى اثنان دون الثالث لما يوقع ذلك في نفس الثالث من حزن لا سيما إن كان ذلك في سفر أو في حرب وما إلى ذلك .

٦ـ وجوب التوكل على الله وترك الأوهام والوساوس فإنها من الشيطان .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

---

(١) اختلف في جواز ومنع السلام على أهل الكتاب والذي عليه الجمهور جوازه للسنة الصحيحة في ذلك ويرى بعضهم وجوب الرد لعموم الآية : (فحيّوا بأحسن منها أو رُدوها) .

(٢) هي قوله تعالى : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) .

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٣)

شرح الكلمات :

تفسحوا في المجالس : أي توسعوا في المجالس التي هي مجالس علم وذكر.

فافسحوا يفسح الله لكم : أي في الجنة وفي الرزق والقبر.

انشزوا فانشزوا : أي قوموا للصلاة أو لغيرها من أعمال البر.

يرفع الله الذين آمنوا منكم : أي بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وفي غرفات الجنان في الآخرة.

والذين اوتوا العلم درجات : أي ويرفع الذين اوتوا العلم درجات عالية لجمعهم بين العلم والعمل.

إذا ناجيتم الرسول : أي أردتم مناجاته.

فقدموا بين يدي نجواكم صدقة : أي قبل المناجاة تصدقوا بصدقة ثم ناجوه ﷺ.

ذلك خير لكم وأطهر : أي تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير لما فيه من نفع الفقراء وأطهر لذنوبكم.

فإن لم تجدوا : أي فإن لم تجدوا ما تتصدقون به.

فإن الله غفور رحيم : أي غفور لمناجاتكم رحيم بكم فليس عليكم في المناجاة بدون صدقة إثم.

ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات؟ : أي أخِفْتُم الفقر ان قدمتم بين يدي نجواكم صدقات.

فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم : أي تقديم الصدقات، وتاب الله عليكم بأن رخص لكم في تركها.

فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة : أي على الوجه المطلوب من إقامتها وأخرجوا الزكاة.

وأطيعوا الله ورسوله : أي وداوموا على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله.

والله خبير بما تعملون : أي من أعمال البر والإحسان وسيثيبكم على ذلك بالجنة.

معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم في تربية المؤمنين وتهذيبهم ليكملوا ويسعدوا فقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﴿إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس﴾ أي إذا قال لكم الرسول ﷺ أو غيره توسّعوا[1] في المجلس ليجد غيركم مكاناً بينكم فتوسعوا ولا تضنوا بالقرب من الرسول أو من العالم الذي يعلمكم أو المذكر الذي يذكركم وإن أنتم تفسحتم أي فإن الله تعالى يكافئكم فيوسع عليكم في الدنيا بسعة الرزق وفي البرزخ في القبر وفي الآخرة في غرفات الجنان.

وقوله تعالى : ﴿وإذا قيل انشزوا﴾[2] أي قوموا من المجلس لعلة أو للصلاة أو للقتال أو لفعل بر وخير فانشزوا أي خفوا وقوموا يثبكم الله فيرفع الله الذين آمنوا منكم درجات[3] بالنصر والذكر الحسن في الدنيا وفي غرف الجنة في الآخرة والذين أوتوا العلم درجات أي ويرفع الذين أوتوا العلم منكم أيها المؤمنون درجاتٍ عالية لجمعهم بين الإيمان والعلم والعمل.

وقـولـه : ﴿والله بمـا تعملون خبير﴾ يذكرهم تعالى بعلمه بهم في جميع أحوالهم ليراقبوه ويكثروا من طاعته ويحافظوا علي تقواه.

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ أمرهم تعـالى إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ ويكلمه وحده أن يقدم صدقة أولاً ثم يطلب المناجاة وكان هذا لمصلحة الفقراء أولا ثم للتخفيف[4] عن رسول الله ﷺ إذ كل مؤمن يود أن يخلو برسـول الله ﷺ ويقـرب منه ويكلمه والرسول بشرٌ لا يتسع لكل أحد فشرع الله هذه الصدقة فأعلمهم أنه يريد التخفيف عن رسوله. فلما علموا ذلك وتحرجوا من بذل صدقة وأكثرهم فقراء

---

(١) قال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض، وروي عن ابن عباس أن هذا في صفوف القتال إذ كانوا يتشاحون على الصف الأول فأمروا بالفسح لبعضهم حتى يتمكنوا من الوقوف في الصف الأول مع رسول الله ﷺ واللفظ عام يشمل هذا وذاك. قال القرطبي: والصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر سواء كان مجلس حرب أو علم أو ذكر أو مجلس صلاة كيوم الجمعة وفي الحديث الصحيح: (نهى رسول الله ﷺ أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا).

(٢) قال قتادة: المعنى: أجيبوا إذا دعيتم إلى أمر بمعروف، والنشز: الارتفاع مأخوذ من نشز الأرض وهو ارتفاعها، ومنه قيل للمرأة التي تترفّع على زوجها ناشز.

(٣) في الآية مدح لأهل العلم: قاله ابن مسعود وفي الحديث: (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب). وقيل لعمر رضي الله عنه في مولى استخلفه فقال: إنه قارىء لكتاب الله وإنه عالم بالفرائض أما إن نبيكم ﷺ قد قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين) وعن ابن عباس: خيّر سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه.

(٤) قال ابن عباس: نزلت بسبب أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن رسوله فأنزل هذه الآية فلما نزلت كفّ الناس.

لا يجدها نسخ تعالى ذلك ولم تدم مدة الوجوب أكثر من ليالى ونسخها الله تعالى بقوله الآتي أأشفقتم. الآية.

وقوله تعالى ﴿ذلك خير لكم وأطهر﴾[1] أي تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير لكم حيث تعود الصدقة على الفقراء إخوانكم وأطهر أي لنفوسكم لأن النفس تطهر بالعمل الصالح وقوله تعالى ﴿فإن لم تجدوا﴾ أي ما تقدمونه صدقة قبل المناجاة فناجوه ﷺ ولا حرج عليكم لعدم وجدكم فإن الله غفور لكم رحيم بكم. وقوله تعالى ﴿ءأشفقتم﴾[2] أي أخفتم الفاقة والفقر إن أنتم ألزمتم بالصدقة بين يدي كل مناجاة وعليه فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم برفع هذا الواجب ونسخه فرجع بكم إلى عهد ما قبل وجوب الصدقة فأقيموا الصلاة بأدائها في أوقاتها في جماعة المؤمنين مراعين شرائطها وأركانها وسننها وآدابها وآتوا الزكاة الواجبة في أموالكم. وأطيعوا الله ورسوله في أمرهما ونهيهما يكفكم ذلك عوضاً عن الصدقة التي نسخت تخفيفاً عليكم ورحمة بكم.

وقوله ﴿والله بما تعملون خبير﴾[3] أي فراقبوه في طاعته وطاعة رسوله تفلحوا فتنجوا من النار وتدخلوا الجنة دار الأبرار.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ الندب إلى فضيلة التوسع في مجالس العلم والتذكير.

٢ـ الندب والترغيب في القيام بالمعروف وأداء الواجبات إذا دعى المؤمن إلى ذلك.

٣ـ فضيلة الإيمان وفضل العلم والعمل به.

٤ـ مشروعية النسخ في الشريعة قبل العمل بالمنسوخ وبعده إذ هذه الصدقة نسخت قبل أن يعمل بها اللهم إلا ما كان من عليّ[4] رضي الله عنه فإنه أخبر أنه تصدق بدينار وناجى رسول الله ﷺ ثم نسخت هذه الصدقة فكان يقول في القرآن آية لم يعمل بها أحد غيري وهي فضيلة له رضي الله عنه.

---

(١) قال ابن العربي : في الآية دليل على أن الأحكام لا تترتب بحسب المصالح فإن الله تعالى قال (ذلك خير لكم وأطهر) ثم نسخ ذلك مع كونه خيراً وأطهر. ولكن قد يقال إنّ ما نسخ من أجله قد يكون أكثر منفعة للمسلمين في دينهم ودنياهم، وإن كان خافياً عن المسلمين لا يعلمونه.

(٢) الاستفهام المراد به لوم الأصحاب على تأخرهم عن المناجاة لما فرضت عليها الصدقة. قيل كان ما بين الآيتين الناسخة والمنسوخة عشرة أيام.

(٣) الجملة تذييل لجملة: (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وهي كناية عن التحذير من التفريط في طاعة الله ورسوله ﷺ.

(٤) روي أن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال: لقد كانت لعليّ رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحبّ إليّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى.

٥- في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في الواجبات والمحرمات عوض عما يفوت المؤمن من النوافل.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ



شرح الكلمات :

ألم تر إلى الذين تولوا : أي ألم تنظر إلى المنافقين الذين تولوا.

قوما غضب الله عليهم : أي اليهود.

ما هم منكم ولا منهم : أي ما هم منكم أيها المؤمنون ولا منهم أي من اليهود بل هم مذبذبون.

ويحلفون على الكذب وهم يعلمون : أي يحلفون لكم أنهم مؤمنون وهم يعلمون أنهم غير مؤمنين.

إنهم ساء ما كانوا يعملون : أي قبح أشد القبح عملهم وهو النفاق والمعاصي.

اتخذوا أيمانهم جنة : أي ستراً على أنفسهم وأموالهم فادعوا الإيمان كذباً وحلفوا أنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين.

فصدوا عن سبيل الله : أي فصدوا بتلك الأيمان المؤمنين عن سبيل الله التي هي جهادهم وقتالهم.

فيحلفون له كما يحلفون لكم : أي يوم يبعثهم من قبورهم يوم القيامة يحلفون لله أنهم كانوا مؤمنين كما يحلفون اليوم لكم أنهم مؤمنون.

ويحسبون أنهم على شيء : أي يظنون في أيمانهم الكاذبة أنهم على شيء من الحق.

استحوذ عليهم الشيطان : أي غلب عليهم الشيطان.

فأنساهم ذكر الله : فلم يذكروه بألسنتهم إلا تقية ولا يذكرون وعده ولا وعيده.

أولئك حزب الشيطان : أي أولئك البعداء أتباع الشيطان وجنده.

ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون : أي إن أتبـاع الشيطان وجنده هم المغبونون الخاسرون في صفقة حياتهم.

معنى الآيـات :

في هذه الأيام التي نزلت فيها هذه السورة كان النفاق بالمدينة بالغاً أشده، وكان اليهود كذلك كثيرين ومتحزبين ضد الإسلام والمسلمين وذلك قبل اجلائهم من المدينة ففي هذه الآية يحذر الله تعالى رسوله والمؤمنين من العدوين معاً ويكشف الستار عنهم ليظهرهم على حقيقتهم ليحذرهم المؤمنون فيقول تعالى ﴿ألم تر﴾[1] أي تنظر يا رسولنا إلى الذين تولوا قوماً غضب[2] الله عليهم وهم اليهود تولاهم المنافقون ولاية نصرة وتحزب ضد الرسول والمؤمنين. يقول تعالى هؤلاء المنافقون ما هم منكم أيها المؤمنون ولا منهم من اليهود بل هم مذبذبون حيارى يترددون بينكم وبين اليهود معكم في الظاهر ومع اليهود في الباطن.

وقوله تعالى: ﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾[3] أي أنهم كاذبون إذ كانوا يأتون رسول الله ويحلفون له أنهم مؤمنون به وبما جاء به وهم يعلمون أنهم كاذبون إذ هم غير مؤمنين به ولا مصدقين. فتوعدهم الله عز وجل بقوله: ﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً﴾ أي هيأ لهم وأحضره وذلك يوم القيامة، وندد بصنيعهم وقبح سلوكهم بقوله إنهم ساء ما كانوا يعملون ولذا أعد لهم العذاب

---

(١) الاستفهام تعجيبي ووجه التعجب من حالهم أنهم تولوا قوما من غير جنسهم وليسوا على دينهم وإنما حملهم الاشتراك في عداوة النبي ﷺ والمؤمنين.

(٢) عُرف اليهود في القرآن بأنهم المغضوب عليهم وتكرر ذلك في القرآن الكريم.

(٣) روي عن عكرمة وابن عباس في سبب نزول هذه الآية: أن النبي ﷺ كان جالساً في ظل شجرة قد كاد الظل يتقلص عنه إذ قال يجيئكم الساعة رجل أزرق ينظر إليكم نظر شيطان فنحن على ذلك إذ أقبل رجل أزرق قد عاينه النبي ﷺ فقال. علام تشتمني أنت وأصحابك؟ قال دعني أجيئك بهم فمر فجاء بهم فحلفوا جميعاً أنه ما كان من ذلك شيء فأنزل الله تعالى: (يوم يبعثهم الله جميعاً).

الشديد لسوء سلوكهم وقبح أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿اتخذوا أيمانهم[1] جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين﴾ أي اتخذ هؤلاء المنافقون أيمانهم التي يحلفونها لكم بأنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين اتخذوها ستارة ووقاية يقون بها أنفسهم من القتل وأموالهم من الأخذ فصدوا بتلك الأيمان الكاذبة المؤمنين عن سبيل الله التي هي قتالهم لأنهم كفار مشركون يجب قتالهم حتى يدخلوا في دين الله أو يهلكوا لأنهم ليسوا أهل كتاب فتقبل منهم الجزية.

وقوله تعالى ﴿فلهم عذاب مهين﴾ أي يوم القيامة يهانون ويذلون به.

وقوله تعالى ﴿لن تغني عنهم[2]﴾ أي يوم القيامة أموالهم التي يجمعونها ويتمتعون بها اليوم كما لا تغنى عنهم أولادهم الذين يعتزون بهم من الله شيئاً من الإغناء فلا تقبل منهم فدية فيفتدون بأموالهم ولا يطلبون من أولادهم نصرة فينصرونهم. أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ولا يحيون.

وقوله تعالى ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً﴾ إي اذكر يا رسولنا يوم يبعثهم الله جميعا في عرصات القيامة فيحلفون[3] له أنهم كانوا مؤمنين كما يحلفون لكم اليوم أنهم مؤمنون. ويحسبون اليوم أي يظنون أنهم على شيء من الصواب والحق ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ[4] عليهم الشيطان أي غلب عليهم فانساهم ذكر الله فلا يذكرونه إلا قليلاً كما أنساهم ذكر وعده ووعيده فلذا هم لا يرغبون فيما عنده ولا يرهبون مما لديه. أولئك حزب الشيطان أي أتباعه وجنده. ألا إنّ[5] حزب الشيطان أي أتباعه وجنده هم الخاسرون أي المغبونون في صفقتهم في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) (اتخذوا أيمانهم جنة) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن سائلا قد يسأل: ما الذي حملهم على الحلف الكاذب؟ فالجواب اتخاذهم أيمانهم جُنة والجنة الوقاية من جن إذا استتر أي: وقاية من شعور المسلمين ليتمكنوا من الصد عن الإسلام تحت شعاره.

(٢) في الآية إشارة إلى أن كبار المنافقين كانوا ذوي ثروة ومال وهذا من الأسباب الحاملة لهم على البقاء على الكفر حفاظاً على أموالهم ومراكزهم في المجتمع في نظرهم، فأخبر تعالى أنّ مالهم الذي يحافظون عليه أولادهم الذين يعتزون بهم إذا نزل بهم عذاب الله لن يغني ذلك عنهم من الله شيئاً.

(٣) صح الحديث بأن من مات على شيء يبعث عليه، ولما مات المنافقون على النفاق بُعثوا عليه، فلذا يحلفون لله تعالى أنهم كانوا مؤمنين كما هم يحلفون في الدنيا بأنهم مؤمنون وهم كاذبون، وهذا كقوله تعالى: (وما كان فتنتهم إلا أن قالوا والله ما كنا مشركين). وهذا في عرصات القيامة.

(٤) مجرد استحوذ: حاذ الشيء: إذا احاطه وصرفه كيف يريد، يقال: حاذ العير: إذا جمعها وساقها غالباً لها فاشتقوا منه استفعل: للاستيلاء، والتدبير والمعالجة ولا يقال استحوذ إلا لمن كان عاقلا يحسن التدبير والتصريف.

(٥) جيء بحرف التنبيه والاستفتاح (ألا) تنبيهاً على أهمية ما دخلت عليه وأنه مما يحق أن يتنبه له. وضمير الفصل (هو) لإفادة القصر، وهو قصر إدعائي للمبالغة في مقدار خسرانهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ حرمة موالاة اليهود.

٢ـ حرمة الحلف على الكذب وهي اليمين الغموس.

٣ـ من علامات استحواذ الشيطان على الإنسان تركه لذكر الله بقلبه ولسانه ولوعده ووعيده بأعماله وأقواله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

شرح الكلمات :

إن الذين يحادون الله ورسوله : أي يخالفون الله ورسوله فيما يأمران به وينهيان عنه.

أولئك في الأذلين : أي المغلوبين المقهورين.

كتب الله لأغلبن أنا ورسلى : أي كتب في اللوح المحفوظ أو قضى وحكم بأن يغلب بالحجة أو السيف.

يوادون من حاد الله ورسوله : أي يصادقون من يخالف الله ورسوله بمحبتهم ونصرتهم.

ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم : أي يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان كما وقع للصحابة.

أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان : أي أثبت الإيمان في قلوبهم.
وأيدهم بروح منه : أي برهان ونور وهدىً.
رضى الله عنهم ورضوا عنه : أي رضى الله عنهم بطاعتهم إياه في الدنيا ورضوا عنه في الآخرة بإدخاله إياهم في الجنة.
ألا أن حزب الله هم المفلحون : أي ألا إن جند الله وأولياءه هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة.

معنى الآيات :

يخبر تعالى موجها المؤمنين مرشداً لهم إلى أقوم طريق وأكمل الأحوال فيقول: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ أي يخالفونهما في أمرهما ونهيهما وما يدعوان إليه من الدين الحق ﴿أولئك﴾ أي المخالفون في زمرة الأذلين[1] في الدنيا والآخرة. وقوله تعالى ﴿كتب[2] الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ أي كتب في اللوح المحفوظ وقضى بأن يغلب رسوله أعداءه بالحجة والسيف[3]. ﴿إن الله قوى عزيز﴾ أي ذو قوة لا تقهر وعزة لا ترام فلذا قضى بنصرة رسوله على أعدائه مهما كانت قوتهم.

وقوله تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون[4] بالله وباليوم الآخر﴾ يقول تعالى لرسوله لا تجد أناساً يؤمنون بالله إيماناً صادقاً بالله رباً وإلهاً وباليوم الآخر يوادون بالمحبة والنصرة من حاد الله ورسوله بمخالفتهما في أمرهما ونهيهما وما يدعوان إليه من توحيد الله وطاعته وطاعة رسوله ولو كانوا أقرب قريب إليهم من أب أو إبن أو أخ أوعشيرة. وقوله تعالى ﴿أولئك كتب﴾ أي الله تعالى في قلوبهم الإيمان أي أثبته وقرره فيها فهو لا يبرح ينير لهم طريق الهدى حتى ينتهوا إلى جوار ربهم.

---

(١) (الأذلين) جمع الأذل وهو: الأكثر ذلا من كل ذليل والذل المهانة والصغار والاحتقار.

(٢) روي أن مقاتلا قال: قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا الله على فارس والروم فقال عبدالله بن أبي بن سلول أتظنون أن الروم وفارس مثل القرى التي غلبتم عليها، والله إنهم لأكثر عدداً وأشد بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك فأنزل الله تعالى: (كتب الله لأغلبن) أي: قضى الله ذلك.

(٣) من بعث منهم بالحجة فإنه غالب بالحجة ومن بعثه بالسيف فهو غالب بالسيف بإذنه تعالى.

(٤) ذكر لنزول هذه الآية عدة أسباب وهي وإن لم تنزل في كلها فإنها منطبقة عليها فقيل: إنها نزلت في عبدالله بن عبدالله ابن أبي بن سلول فقد جاء لوالده بفضلة ماء من شراب رسول الله ﷺ لعل الله يطهر قلبه من النفاق فسأله ما هذا فأخبره فقال عليه لعائن الله: فهلا جئتني ببول أمك فإنه أطهر منها فغضب وجاء يستأذن رسول الله ﷺ في قتله فلم يأذن له، وقيل نزلت في أبي بكر الصديق لما ضرب والده بشدة لما سبّ له رسول الله ﷺ وقيل: نزلت في الذين بارزوا أقرباءهم يوم بدر.

﴿وأيدهم بروح منه﴾[1] أي ببرهان ونور منه سبحانه وتعالى هذا في الدنيا وأما في الآخرة فيدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار أي بساتين غناء تجرى الأنهار المختلفة من خلال الأشجار والقصور خالدين فيها لا يخرجون منها أبدا، وفوق ذلك رضي الله عنهم بطاعتهم إياه ورضوا عنه في الآخرة بإدخاله إياهم الجنة دار المتقين.

وقوله تعالى: ﴿أولئك حزب الله﴾ أي أولئك العالون في كمالاتهم الروحية حزب الله أي جنده وأولياؤه، ثم أعلن تعالى عن فوزهم ونجاحهم فقال: ﴿ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون﴾[2] أي الفائزون يوم القيامة بالنجاة من النار ودخول الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ كتب الله الذل والصغار على من حاده وحاد رسوله بمخالفتهما فيما يحبان ويكرهان.

٢ ـ قضى الله تعالى بنصرة رسوله فنصره إنه قوي عزيز.

٣ ـ حرمة[3] موالاة الكافر بالنصرة والمحبة ولوكان أقرب قريب، وقد قاتل أصحاب رسول الله آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم في بدر. وفيهم نزلت هذه الآية تبشرهم برضوان الله تعالى لهم، وإنعامه عليهم اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم.

سُورَةُ الحَشْرِ[4]

مدنيـــة وآياتها أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ

---

(١) قيل: هو جبريل، وقيل: بنصر منه، وقال الربيع بن أنس: بالقرآن وحججه.

(٢) استدل مالك بهذه الآية (لا تجد قوماً..) الخ على معاداة القدرية وترك مجالستهم. إذا كان هذا في القدرية فكيف بالرافضة؟!

(٣) روي أن داود عليه السلام قال: إلهي: أمن حزبك وحول عرشك؟ فأوحى الله إليه: يا داود: الغاضة أبصارهم النقية قلوبهم السليمة أكفهم. أولئك حزبي وحول عرشي.

(٤) وسمّاها ابن عباس سورة بني النضير لذكر قصة بني النضير فيها وسمّاها الرسول ﷺ (سورة الحشر) في حديث الترمذي عن معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال: (من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر (هو الله) الخ وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في يومه مات شهيداً، ومن قرأها حين يمسي كذلك). وقال فيه: حسن غريب.

لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

سبح[1] لله ما في السموات وما في الأرض : أي نزه الله تعالى وقدّسهُ بلسان الحال والقال ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات.

وهو العزيز الحكيم : أي العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبيره لأوليائه.

هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم : أي أخرج يهود بنى النضير من ديارهم بالمدينة.

لأول الحشر : أي لأول حشر كان وثانى حشر كان من خيبر إلى الشام.

ما ظننتم أن يخرجوا : أي ما ظننتم أيها المؤمنون أن بنى النضير يخرجون من ديارهم.

وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله : أي وظن يهود بنى النضير أن حصونهم تمنعهم مما قضى الله به عليهم من إجلائهم من المدينة.

---

(١) في قوله تعالى : (سبّح لله) الخ تذكير للمؤمنين بتسبيح الله تعالى وأنه من الذكر الذي هو علة الوجود، وتركه مهلكة كالتي حلّت ببني النضير لتركهم ذلك.

فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا : أي فجاءهم الله من حيث لم يظنوا أنهم يؤتون منه.

وقذف في قلوبهم الرعب : أي وقذف الله تعالى الخوف الشديد من محمد وأصحابه.

يخربون بيوتهم بأيديهم : أي يخربون بيوتهم حتى لا ينتفع بها المؤمنون وليأخذوا بعض أبوابها وأخشابها المستحسنة معهم.

وأيدى المؤمنين : إذ كانوا يهدمون عليهم الحصون ليتمكنوا من قتالهم.

فاعتبروا يا أولى الأبصار : أي فاتعظوا بحالهم يا أصحاب العقول ولا تغتروا ولا تعتمدوا إلا على الله سبحانه وتعالى.

ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء : أي ولو لا أن كتب الله عليهم الخروج من المدينة.

لعذبهم في الدنيا : أي بالقتل والسبيّ كما عذب بنى قريظة إخوانهم بذلك.

ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله : جزاهم بما جزاهم به من عذاب الدنيا والآخرة بسبب مخالفتهم لله ورسوله ومعاداتهم لهما.

ما قطعتم من لينة أو تركتموها : أي ما قطعتم أيها المؤمنون من نخلة لينة أو تركتموها بلا قطع.

فبإذن الله وليخزى الفاسقين : أي فقطع ما قطعتم وترك ما تركتم كان بإرادة الله وكان ليجزى الله الفاسقين يهود بنى النضير.

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن جلاله وعظمته بأنه سبحه أي نزهه عن كل النقائص من الشريك والصاحبة والولد والعجز والنقص مطلقاً بلسان القال ولسان الحال جميع ما في السموات وما في الأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوان والشجر والحجر والمدر، وأنه هو العزيز الانتقام الحكيم في تدبير حياة الأنام. هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم يهود بنى النضير[1] أجلاهم من ديارهم بالمدينة لأول الحشر[2] إلى أذرعات بالشام ومنهم من نزل بخيبر وسيكون لهم حشر آخر حيث حشرهم عمر وأجلاهم من خيبر إلى الشام.

وقوله تعالى فى خطاب المؤمنين: ﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ أي من ديارهم وظنوا هم أنهم مانعتهم حصونهم من الله. فخاب ظنهم إذ أتاهم أمر الله من حيث لم يظنوا وذلك بأن قذف في

---

(١) بنو النضير: رهط من اليهود من ذرية هارون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظاراً لمحمد ﷺ وكان من أمرهم ما قص تعالى في هذه السورة.

(٢) الحشر: الجمع أي: جمع الناس في مكان واحد، والمراد هنا: حشر يهود جزيرة العرب إلى أرض غيرها أي: جمعهم للخروج، ولذا هو يرادف الجلاء إذا كان الجلاء لجماعة عظيمة تجمع من الديار المتفرقة، واللام في قوله: (لأوّل الحشر) هي لام التوقيت التي تدخل على أوّل الوقت نحو (فطلقوهن لعدتهن) أي: لأول عدتهن وهو الطهر الذي لم تمس فيه.

قلوبهم الـرعب والخوف الشديد من الرسول وأصحابه حتى أصبحوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين. المؤمنون يخربونها من الظاهر لفتح البلاد وهم يخربونها من الباطن وذلك أن الصلح الذي تم بينهم وبين الرسول والمؤمنين أنهم يحملون أموالهم إلا الحلقة أي السلاح ويجلون عن البلاد إلى الشام وهو أول حشر لهم فكانوا إذا أعجبهم الباب أو الخشبة نزعوها من محلها فيخرب البيت لذلك. وقوله تعالى ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾ أي البصائر والنهي أي اتعظوا بحال بنى النضير الأقوياء كيف قذف الله الرعب في قلوبهم وأجلوا عن ديارهم فاعتبروا يا أولى البصائر فلا تغتروا بقواكم ولكن اعتمدوا على الله وتوكلوا عليه.

وقـولـه تعالى: ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء[1]﴾ أزلا في اللوح المحفوظ لعذبهم في الدنيا بالسبي والقتل كما عذب بنى قريظة بعدهم. ولهم في الآخرة عذاب النار، ثم علل تعالى لهذا العذاب الذي أنزله وينزله بهم بقوله: ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ أي خالفوهما وعادوهما، ومن يشاق الله يعاقبه بأشد العقوبات فإن الله شديد العقاب.

وقـولـه تعـالى ﴿مـا قطعتم من[2] لينـة﴾ أي من نخلة لينـة أو تركتمـوهـا بلا قطعٍ قائمـة على أصـولها فقد كان ذلك بإذن الله فلا إثم عليكم فيه فقد أسرّ به المؤمنين وأخزى به الفاسقين اليهود.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان جلال الله وعظمته مع عزه وحكمته في تسبيحه من كل المخلوقات العلوية والسفلية وفي إجلاء بنى النضير من ديارهم وهو أول حشر وإجلاء تم لهم وسيعقبه حشرٌ ثانٍ وثالثٌ.[3]

٢ـ بيان أكبر عبرة في خروج بنى النضير، وذلك لما كان لهم من قوة ولما عليه المؤمنون من ضعف ومع هذا فقد انهزموا شر هزيمة وتركوا البلاد والاموال ورحلوا إلى غير رجعة. فعلى مثل هذا يتعظ المتعظون فإنه لا قوة تنفع مع قوة الله، فلا يغتر العقلاء بقواهم المادية بل عليهم أن يعتمدوا على الله أولاً وآخراً.

٣ـ علة هزيمة بنى النضير ليست إلا محادتهم لله والرسول ومخالفتهم لهما وهذه سنته تعالى في

(١) الفرق بين الجلاء والإخراج أن الجلاء يكون بالأهل والأولاد وأمّا الإخراج قد يكون بدون ذلك وكلاهما مفارقة المرء وطنه ويقال: جلا المرء بنفسه وأجلاه غيره.

(٢) كان هذا من باب إلجاء العدو إلى ترك المقاومة والاستسلام. واللينة: بمعنى: النخلة، واختير لفظ اللينة دون النخلة: لخفته وهو اللون دون العجوة والبرني.

(٣) الحشر: أي الجمع الأول هو إجلاؤهم من المدينة، والثاني: هو إجلاؤهم عن الديار الحجازية على يد عمر رضي الله عنه لوصية الرسول ﷺ بذلك في قوله (لايجتمع دينان في الجزيرة) والثالث: هو إجلاؤهم من فلسطين بعد تجمعهم فيها وإقام دولتهم. جاء بهذا حديث مسلم: (لتقاتلن اليهود...) الحديث فسوف يتم إجلاؤهم حتى لا يجتمعوا مرة أخرى إلى قيام الساعة.

كل من يحاده ويحاد رسوله فإنه ينزل به أشد أنواع العقوبات.

٤ـ عفو الله تعالى على المجتهد إذا أخطأ وعدم مؤاخذته، فقد اجتهد المؤمنون في قطع نخل بني النضير من أجل إغاظتهم حتى ينزلوا من حصونهم. وأخطأوا في ذلك إذ قطع النخل المثمر فساد، ولكن الله تعالى لم يؤاخذهم لأنهم مجتهدون.

وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات:

وما أفاء الله على رسوله منهم : أي وما رد الله ليد رسول الله ﷺ من مال بني النضير.

فما أوجفتم[1] عليه من خيل ولا ركاب : أي أسرعتم في طلبه والحصول عليه خيلاً ولا إبلاً أي لم تعانوا فيه مشقة.

ولكن الله يسلط رسله على من يشاء : أي وقد سلط رسول الله محمداً ﷺ على بنى النضير ففتح بلادهم صلحاً.

وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى : أي وما رد الله على رسوله من أموال أهل القرى التي لم يوجف عليها بخيلٍ ولا رِكابٍ.

فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن : أي لله جزء وللرسول جزء ولقرابة الرسول جزء ولليتامى جزء وللمساكين جزء ولابن السبيل جزء تقسم على المذكورين

---

(١) (فما أوجفتم) هذه الفاء واقعة في جواب الذي، إذ الموصول فيه معنى الشرط فقوله: (وما أفاء) أي: والذي أفاءه الله على رسوله منهم فما أوجفتم. . .) الخ.

السبيل : بالسوية.
كي لا يكون دولة بين الأغنياء: أي كيلا يكون المال متداولاً بين الأغنياء الأقوياء ولا يناله منكم الضعفاء والفقراء.
وما آتاكم الرسول فخذوه وما: أي وما أعطاكم الرسول وأذن لكم فيه أو أمركم به فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا نهاكم عنه وحظره عليكم ولم يأذن لكم فيه فانتهوا عنه.
واتقوا الله إن الله شديد العقاب : أي واتقوا الله فلا تعصوه ولا تعصوا رسوله واحذروا عقوبة الله على معصيته ومعصية رسوله فإن الله شديد العقاب.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في غزوة بني النضير إنه بعد الصلح الذي تم بينهم وبين رسول الله ﷺ وقد تركوا حوائطهم أي بساتينهم فيئاً لرسول الله ﷺ ورغب المسلمون في تلك البساتين ورأى بعضهم أنها ستقسم عليهم كما تقسم الغنائم فأبى الله تعالى ذلك عليهم وقال: ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ أي وما رد الله تعالى على رسوله من مال بني النضير. وكلمة ردّ تفسير لكلمة أفاء لأن الفيء الظل يتقلص ثم يرجع أي يُردّ وأموال بني النضير الأصل فيها لرسول الله ﷺ لأن بني النضير عاهدوا رسول الله وبمقتضى المعاهدة أبقى عليهم أموالهم فإذا نقضوا العهد وخانوا لم يستحقوا من المال شيئاً لا سيما وأنهم تآمروا على قتله وكادوا ينفذون جريمتهم التى تحملوا تبعتها ولو لم ينفذوها.وبداية القضية كالتالي:

أن المعاهدة التى تمت بين الرسول ﷺ وبين بني النضير من جملة بنودها أن يؤدوا مع الرسول ما يتحمل من ديات. وبعد وقعة أحد بنصف سنة حدث أن عمرو بن أمية الضمري قتل خطأ رجلين من بني كلب أو بني كلاب فجاء ذووهم يطالبون بديتهم من رسول الله ﷺ إذ هو المسئول عن المسلمين فخرج ﷺ إلى بني النضير في قريتهم[1] التي تبعد عن المدينة بميلين يطالب بالإسهام في دية الرجلين الكلابيين بحكم المعاهدة فلما انتهى إليهم أنزلوه هو وأصحابه بأحسن مجلس وقالوا ما تطلبه هو لك يا أبا القاسم ثم خلوا بأنفسهم وقالوا ان الفرصة سانحة للتخلص من الرجل فجاءوا برحىً «مطحنة» من صخرة وطلعوا بها إلى سطح المنزل وهموا أن يسقطوها على رأس رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل الجدار مع أصحابه، وقبل أن يسقطوا الرحى أوحى الله إلى رسوله أن قم من مكانك فإن اليهود أرادوا إسقاط حجر عليك ليقتلوك فقام ﷺ على الفور

(١) وكانت تسمى الزهرة وكان لها خمسة حصون.

وتبعه أصحابه وسقط في أيدي اليهود. وما إن رجع الرسول ﷺ حتى أعلن الخروج إلى بنى النضير فإنهم نقضوا عهدهم ووجب قتالهم فنزل بساحتهم وحاصرهم وجرت سفارة وانتهت بصلح يقضى بأن يجلو بنو النضير عن المدينة يحملون أموالهم على إبلهم دون السلاح ويلتحقوا بأذرعات بالشام فكان هذا أول حشر لهم إلى أرض المعاد والمحشر إلا أسرتين نزلتا بخيبر أسرة بنى الحقيق الذين منهم حيي ابن اخطب والد صفية زوج رسول الله ﷺ. ولهذه الغزوة بقية ستأتي عند قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ الآيات.

من هنا علمنا أن مال بنى النضير هو لرسول الله ﷺ أفاءه الله عليه فقال وما أفاء الله على رسوله منهم أي من بنى النضير. ولما طمع المؤمنون فيه قال تعالى رداً عليهم فما أوجفتم[1] عليه أى على أموال بنى النضير أي ما ركبتم إليه خيلاً ولا إبلاً ولا أسرعتم عدواً إليهم لأنهم في طرف المدينة فلم تتحملوا سفراً ولا تعباً ولا قتالاً موتاً وجراحات فلذا لاحق لكم فيها فإنها فيء وليست بغنائم. ولكن الله يسلط[2] رسله على من يشاء بدون حروب ولا قتال فيفيء عليهم بمال الكفرة الذي هو مال الله فيرده على رسله، وقد سلط الله حسب سنته في رسله محمداً ﷺ على أعدائه بنى النضير فحاز المال بدون قتال ولا سفر فهو له دون غيره ينفقه كما يشاء ومع هذا فقد أنفقه ﷺ ولم يبق منه إلا قوت سنة لأزواجه رضى الله عنهن وأرضاهن. وقوله تعالى ﴿والله على كل شيء قدير﴾ لا يمتنع منه قوى، ولا يتعزز عليه شريف سري.

وقوله تعالى: ﴿وما أفاء الله على[3] رسوله من أهل القرى﴾ أي من أموال أهل القرى التى ما فتحت عنوة ولكن صلحاً فتلك الأموال تقسم فيئاً على ما بيّن تعالى فلله وللرسول ولذي القربى أي قرابة رسول الله ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب. واليتامى الذين لا عائل لهم، والمساكين الذين مسكنتهم الحاجة وابن السبيل وهو المسافر المنقطع عن بلاده وداره وماله. وعلة ذلك بينها تعالى بقوله: ﴿كيلا يكون﴾ أي المال ﴿دولة[4]﴾ أي متداولاً بين الأغنياء منكم، ولا يناله الضعفاء والفقراء فمن الرحمة والعدل أن يقسم الفيء على هؤلاء الأصناف المذكورين وما لله فهو ينفق في المصالح العامة وكذلك ما للرسول بعد وفاته ﷺ والباقى للمذكورين، وكذا خمس الغنائم فإنه يوزع على المذكورين في هذه الآية أما الأربعة أخماس فعلى المجاهدين.

(١) الإيجاف: ضرب من سير الخيل وهو سير سريع والمراد: الركض للإغارة و(الركاب) اسم جمع للإبل التي تركب.
(٢) في الكلام حذف اقتضاه الإيجاز إذ التقدير: ولكن الله سلط عليهم رسوله، والله يسلط رسله على من يشاء.
(٣) هذه الآية بداية كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً فالأولى كانت بخاصة قسمة أموال بني النضير، وأما هذه فهي في بيان حكم الفيء في الإسلام.
(٤) (دُولة): ما يتداوله المتداولون، والتداول: التعاقب في التصرف في شيء وأصبحت خاصة بتداول الأموال.

وقوله تعالى :﴿وما آتاكم الرسول﴾ من مال وغيره ﴿فخذوه ومانهاكم عنه﴾أي من مال وغيره فانتهوا عنه واتقوا الله فلا تعصوه ولا تعصوا رسوله وأحذورا عقابه فإن الله شديد العقاب أي معاقبته قاسية شديدة لا تطاق فيا ويل من تعرض لها بالكفر والفجور والظلم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان أن مال بنى النضير كان فيئاً خاصاً برسول الله ﷺ .

٢ـ أن الفيء وهو ما حصل عليه المسلون بدون قتال[1] وإنما بفرار العدو وتركه أو بصلح يتم بينه وبين المسلمين هذا الفيء يقسم على ما ذكر تعالى في هذه الآية إذ قال وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله، وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل. وأما الغنائم وهى ما أخذت عنوة بالقوة وسافر إليها المسلمون فإنها تُخَمّس خمس لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل يوزع بينهم بالسوية، والاربعة الأخماس الباقية تقسم على المجاهدين الذين شاركوا في المعارك وخاضوها للراجل قسم وللفارس قسمان .

٣ـ وجوب طاعة رسول الله ﷺ وتطبيق أحكامه والاستنان بسننه المؤكدة وحرمة مخالفته فيما نهى عنه أمته روى الشيخان ان ابن مسعود رضي الله عنه قال لعن الله الواشمات[2] والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب كانت تقرأ القرآن فقالت بلغنى انك لعنت كيت وكيت. فقال: مالى لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله عز وجل؟ فقالت لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، قال إن كنت قرأته فقد وجدته. أما قرأت قوله تعالى ﴿وما آتاكم[3] الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ قالت: بلى. قال: فإنه ﷺ قد نهى عنه. أي الوشم الخ . .

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ

---

(١) هذه المسألة خلافية بين الفقهاء وما في التفسير هو الذي عليه الأكثرون منهم وهو الراجح والله أعلم.

(٢) الوشم معروف، ملعونة فاعلته والمفعول لها، والتنمص نتف الشعر من الوجه والتفلج توسعة ما بين الأسنان بمنشار وغيره للتجمل بذلك.

(٣) الإيتاء: مستعار لتبليغ الأمر إليهم إذ جعل تشريعه وتبليغه كإيتاء شيء بأيديهم كقوله تعالى: (خذوا ما آتيناكم بقوة) إذ يريد التشريع الذي شرعه لهم في التوراة.

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

يبتغون فضلا من الله ورضوانا : أي هاجروا حال كونهم طالبين من الله رزقاً يكفيهم ورضا منه تعالى.

أولئك هم الصادقون : أي في إيمانهم حيث تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا ينصرون الله ورسوله.

والذين تبوءوا الدار والإيمان : أي والأنصار الذين نزلوا المدينة وألِفُوا الإيمان بعدما اختاروه على الكفر.

من قبلهم : أي من قبل المهاجرين.

ولا يجدون في صدورهم حاجة : أي حسداً ولا غيظاً.

مما أوتوا : أي مما أوتى إخوانهم المهاجرون من فيء بنى النضير.

ويؤثرون على أنفسهم : أي في كل شيء حتى إن الرجل منهم تكون تحته المرأتان فيطلق أحداهما ليزوجها مهاجراً.

ولو كان بهم خصاصة : أي حاجة شديدة وخلّة كبيرة لا يجدون ما يسدونها به.

ومن يوق شح نفسه : أي ومن يقه الله تعالى حرص نفسه على المال والبخل به.

والذين جاءوا من بعدهم : أي من بعد المهاجرين والأنصار من التابعين الى يومنا هذا فما بعد.

ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين : أي حقداً أي انطواء على العداوة والبغضاء.

آمنوا

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن فيء بنى النضير وتوزيع الرسول ﷺ له فقال تعالى ﴿للفقراء﴾ أي أعجبوا[1] أن يعطى فيء بني النضير للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون أي حال كونهم في خروجهم يطلبون فضلا من الله أي رزقاً يكف وجوههم عن المسألة ورضواناً من ربهم أي رضاً عنهم لا يعقبه سخط. إذ كان الرسول ﷺ أعطى فيء بنى النضير للمهاجرين ولم يعط للأنصار إلا ما كان من أبى دجانة وسهل بن حنيف فقد ذكرا لرسول الله ﷺ حاجة فأعطاهما. فتكلم المنافقون للفتنة وعابوا صنيع رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية يعجب منهم الرسول والمؤمنين في إنكارهم على عطاء رسول الله ﷺ المهاجرين دون الأنصار، وهو قوله تعالى ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم يبتغـون فضـلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ أي في إيمانهم إذ صدقوا القول بالعمل، وما كان معتقداً باطناً أصبح عملاً ظاهراً بهذه الأوصاف التى ذكر تعالى للمهاجرين أعطاهم الرسول من فيء بنى النضير. وأما الأنصار الذين لم يعطهم المال الزائل وهم في غير حاجة إليه فقد أعطاهم ما هو خير من المال. واسمع ثناءه تعالى عليهم: ﴿والذين تبوءوا الدار﴾[2] أي المدينة النبوية والإيمان أي بوأوه قلوبهم وأحبوه وألفوه. من قبلهم أي من قبل نزول المهاجرين[4] إلى المدينة يحبون من هاجر إليهم من سائر المؤمنين الذين يأتون فراراً بدينهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة أي حسداً ولا غيظاً مما أوتوا أي مما أعطى الرسول ﷺ المهـاجـرين. ويؤثرون على أنفسهم[5] غيرهم من المهاجرين ولو كان بهم خصاصة أي حاجة شديدة وخلة كبيرة لا يجدون ما يسدونها به، وفي السيرة من عجيب إيثارهم العجب العجاب في أن الرجل يكون تحته امرأتان فيطلق إحداهما فإذا انتهت عدتها زوجها أخاه المهاجر فهل بعد هذا الإيثار من إيثار؟.

---

(١) وقيل: إنّ (للفقراء) بيان لقوله: (ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ويكون: (للفقراء): قيداً لذي القربى بحيث لا يعطى منهم إلا الفقراء، وهذا مردود ردّه الشافعي على أبي حنيفة رداً عنيفاً.

(٢) (أخرجوا): أي: أحوجهم المشركون إلى الخروج وكانوا مائة رجل كذا قال القرطبي.

(٣) تبوءوا الدار والإيمان) لما كان التبوء يكون في الأماكن كان لابد من تقدير لكملة الإيمان نحو: تبوءوا الدار والتزموا الإيمان أو ألفوا الإيمان على حد قولهم: علفتها تبناً وماءً بارداً. أي: وسقيتها ماءً.

(٤) في العبارة تجوز أي: من قبل نزول أكثر المهاجرين أو من قبل نزول الرسول ﷺ بالمدينة وهو سيد المهاجرين وسيد جميع العالمين.

(٥) أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة (أن رجلا بات به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته: نومي الصبيان وأطفئي السراج وقربي للضيف ما عندك) فنزلت هذه الآية: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة).

وقوله تعالى ﴿ومن يوق شح نفسه﴾[1] أي من يقيه الله تعالى مرض الشح وهو البخل بالمال والحرص على جمعه ومنعه فهو في عداد المفلحين وقد وقى الأنصار هذا الخطر فهم مفلحون فهذا أيضاً ثناء عليهم وبشرى لهم.

وقوله تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ أي من بعد المهاجرين الأولين والأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان يقولون في دعائهم الدائم لهم ﴿ربنا﴾ أي يا ربنا ﴿اغفر لنا﴾ أي ذنوبنا واغفر ﴿ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ وهم المهاجرون والأنصار، ﴿ولا تجعل في قلوبنا غِلاّ للذين آمنوا﴾ بك وبرسولك ﴿ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ أي ذو رأفة بعبادك ورحمة بالمؤمنين بك فاستجب دعاءنا فاغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاّ لهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان فضل المهاجرين والأنصار، وأن حبهم إيمان وبغضهم كفران.

٢- فضيلة الإيثار على النفس.

٣- فضيلة إيواء المهاجرين ومساعدتهم على العيش في دار الهجرة المهاجرين الذين هاجروا في سبيل الله تعالى فراراً بدينهم ونصرة لإخوانهم المجاهدين والمرابطين.

٤- خطر الشح وهو البخل بما وجب إخراجه من المال والحرص على جمعه من الحلال والحرام.

٥- بيان طبقات المسلمين ودرجاتهم وهي ثلاثة بالإجمال:

١- المهاجرون الأولون.

٢- الأنصار الذين تبوءوا الدار «المدينة» وألفوا الإيمان.

٣- من جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين إلى قيام الساعة من أهل الإيمان والتقوى.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ

(١) ومما ورد في ذم الشح قوله ﷺ (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم).

أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

ألم تر : أي ألم تنظر.

نافقوا : أي أظهروا الإيمان وأخفوا في نفوسهم الكفر.

لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب : أي يهود بني النضير.

لئن أخرجتم : أي من دياركم بالمدينة.

لنخرجن معكم : أي نخرج معكم ولا نبقى بعدكم في المدينة.

وإن قوتلتم : أي قاتلكم محمد ﷺ وأصحابه.

لننصرنكم : أي بالرجال والسلاح.

والله يشهد إنهم لكاذبون : أي فيما وعدوا به إخوانهم من بني النضير.

ولئن نصروهم : أي وعلى فرض أنهم نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون المنافقون كاليهود سواء.

لأنتم أشد رهبة في صدورهم : أي تالله لأنتم أشد خوفاً في صدورهم.

من الله : لأن الله تعالى يؤخر عذابهم وأنتم تعجلونه لهم.

ذلك بأنهم : أي المنافقين.

قوم لا يفقهون : لظلمة كفرهم وعدم استعدادهم للفهم عن الله ورسوله.

لا يقاتلونكم جميعا : أي لا يقاتلكم يهود بني النضير مجتمعين.

الا في قرىً محصنة : أي بالأسوار العالية.

أو من وراء جُدُر : أي من وراء المباني والجدران أما المواجهة فلا يقدرون عليها.

بأسهم بينهم شديد : أي العداوة بينهم شديدة والبغضاء أشد.

تحسبهم جميعاً : أي مجتمعين.

وقلوبهم شتى : أي متفرقة خلاف ما تحسبهم عليه.

بأنهم قوم لا يعقلون : إذ لو كانوا يعقلون لاجتمعوا على الحق ولاما كفروا به وتفرقوا فيه فهذا دليل عدم عقلهم.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن غزوة بني النضير فيقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿ألم تر﴾ أي تنظر يارسولنا[1] إلى الذين نافقوا وهم عبدالله بن أبي بن سلول ووديعة ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس إذ بعثوا إلى بني النضير حين نزل بساحتهم رسول الله ﷺ لحربهم بعثوا إليهم أن اثبتوا وتمنعوا وإن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم غير أنهم لم يفوا لهم ولم يأتهم منهم أحد وقذف الله الرعب في قلوبهم فسألوا رسول الله ﷺ أن يُجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلْقة «السلاح» هذا معنى قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين[2] نافقوا يقولون لإخوانهم في الكفر﴾ من أهل الكتاب «يهود بني النضير» لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم، ولا نطيع فيكم أي في نصرتكم والوقوف إلى جنبكم أحداً كائنا من كان وإن قوتلم أي قاتلكم محمد ﷺ ورجاله لننصرنكم. والله يشهد إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم وفعلا لم يقاتلوا معهم ولم يخرجوا معهم كما خرجوا من ديارهم. وهو قوله تعالى ﴿لئن أخرجوا لا[3] يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾ وعلى فرض أنهم نصروهم ليولن الأدبار هاربين من المعركة، ثم لا ينصرون اليهود كالمنافقين سواء. وقوله تعالى: ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بأنهم أشد رهبة أي خوفاً في صدور المنافقين من الله

---

(١) بعد ذكر ما حل ببني النضير من خزي وعذاب حيث أجلوا عن ديارهم تاركينها وراءهم وذكر ما أفاء الله على رسوله من أموالهم شرع تعالى في تعجيب رسوله والمؤمنين من حال المنافقين وما لحقهم من عار وشنار فقال لرسوله ﷺ (ألم تر إلى الذين...) الخ.

(٢) الاستفهام للتعجب والأخوة هي أخوة التلاقي في الكفر وفي بَغض الإسلام ورسوله وأهله. فما هي بأخوة نسب ولا دين.

(٣) جملة (لئن أخرجوا..) الخ بيان لجملة: (والله يشهد إنهم لكاذبون).

تعالى لأنهم يرون أن الله تعالى يؤجل عذابهم، وأما المؤمنون فإنهم يأخذونهم بسرعة للقاعدة (من بدل دينه فاقتلوه) فإذا أعلنوا عن كفرهم وجب قتلهم وقتالهم.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾[1] هذا بيان لجبنهم وخوفهم الشديد من الرسول ﷺ والمؤمنين. إذ لو كانوا يفقهون لما خافوا العبد ولم يخافوا المعبود.

وقوله تعالى: ﴿لا يقاتلونكم جميعاً﴾[2] أي اليهود والمنافقون ﴿إلا في قرى محصنة﴾ بأسوار وحصون أو من وراء جدر أي في المباني ووراء الجدران. وقوله تعالى بأسهم بينهم شديد أي العداوة بينهم قوية والبغضاء شديدة تحسبهم جميعاً في الظاهر وأنهم مجتمعون ولكن ﴿وقلوبهم شتى﴾ أي[3] متفرقة لا تجتمع على غير عداوة الإسلام وأهله، وذلك لكثرة أطماعهم وأغراضهم وأنانيتهم وأمراضهم النفسية والقلبية.

وقوله تعالى ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾[4] إذ لو كانوا يعقلون لما حاربوا الحق وكفروا به وهم يعملون فعرضوا أنفسهم لغضب الله ولعنته وعذابه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير حقيقة وهي أن الكفر ملة واحدة وأن الكافرين إخوان. ٢- خلف الوعد آية النفاق وعلاماته البارزة. ٣- الجبن والخوف صفة من صفات اليهود اللازمة لهم ولاتنفك عنهم.

٤- عامة الكفار يبدون متحدين ضد الإسلام وهم كذلك ولكنهم فيما بينهم تمزقهم العداوات وتقطعهم الأطماع وسوء الأغراض والنيات.

كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

---

(١) الفقه: إدراك المعاني الدقيقة والأسرار الخفية في كلام أهل الحكمة وذوي البصيرة.

(٢) الجملة بدل اشتمال من جملة: (لأنتم أشدّ رهبة في صدورهم من الله) أي: لا يقاتلكم اليهود مع المنافقين مجتمعين في جيش واحد وفي الآية تهديد ليهود بني قريظة أمّا بنو النضير فقد انتهى أمرهم.

(٣) (شتى): جمع شتيت: بمعنى مفارق كقتيل وقتلى.

(٤) (ذلك) الإشارة إلى ما ذكر من عدم اتفاقهم وتفرّق قلوبهم، والباء سببية ونفي العقل عنهم نفي للازمه وهو ما يقود إليه من النجاة والسعادة.

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ
نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ
﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

كمثل الذين من قبلهم قريباً : أي مثل يهود بني النضير في ترك الإيمان ومحاربة الرسول ﷺ كمثل إخوانهم بني قينقاع والمشركين في بدر.

ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم : أي ذاقوا عاقبة كفرهم وحربهم لرسول الله ولهم عذابٌ أليم في الآخرة.

كمثل الشيطان إذ قالا للإنسان : أي ومثلهم أيضا في سماعهم من المنافقين وخذلانهم لهم كمثل الشيطان إذ قال للإنسان.

أكفر فلما كفر قال إني بريء منك : أي قال له الشيطان بعد أن كفره إني برىء منك.

وذلك جزاء الظالمين : أي خلودهما في النار أي الغاوي والمغوى ذلك جزاءهما وجزاء الظالمين.

ولتنظر نفس ما قدمت لغد : أي لينظر كل أحد ما قدم ليوم القيامة من خير وشر.

ولا تكونوا كالذين نسوا الله : أي ولا تكونوا أيها المؤمنون كالذين نسوا الله فتركوا طاعته.

فأنساهم أنفسهم : أي فعاقبهم بأن أنساهم أنفسهم فلم يعملوا خيراً قط.

لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون : أي لأن أصحاب الجنة فائزون بالسلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب المحبوب. وأصحاب النار خاسرون في جهنم خالدون، فكيف يستويان؟

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾[1] هذه الآية (١٥) واللتان بعدها (١٦) و (١٧) في بقية الحديث عن بني النضير إذ قال تعالى مثل بني النضير في هزيمتهم بعد نقضهم العهد كمثل الذين من قبلهم في الزمان والمكان وهم بنو قينقاع إذ نقضوا عهدهم فأخرجهم رسول الله ﷺ وذاقوا وبال أمرهم أي عاقبة نقضهم وكفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم أي موجع شديد وقوله تعالى ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾[2] بوسائله الخاصة فلما كفر الإنسان تبرأ منـه الشيطان وقـال إنى بريء منك إني أخاف الله رب العالمين كذلك حال بني النضير مع المنافقين حيث حرضوهم على الحرب والقتال وواعدوهم أن يكونوا معهم ثم خذلوهم وتركوهم وحدهم.

وقوله تعالى : ﴿فكان عاقبتهما﴾ أي عاقبة أمرهما أنهما أي الإنسان والشيطان أنهما في النار خالدين فيها، وذلك أي خلودهما في النار جزاء الظالمين أي المشركين والفاسقين عن طاعة الله عز وجل.

وبعد نهاية قصة بني النضير نادى تعالى المؤمنين ليوجههم وينصح لهم فقال ﴿يا أيها الذين آمنـوا﴾ أي صدقـوا بالله ربـاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً اتقوا الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، ولتنظر نفس ما قدمت[3] لغد أي ولينظر أحدكم في خاصة نفسه ماذا قدم لغدٍ أي يوم القيامـة. واتقـوا الله، أعـاد الأمـر بالتقوى لأن التقوى هى ملاك الأمر ومفتاح دارالسلام والسعادة، وقوله تعالى : ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ يشجعهم على مراقبة الله تعالى والصبر عليها. وقوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ أي لا تكونوا كأناسٍ تركوا العمل بطاعة الله وطاعة رسوله فعاقبهم ربهم بأن أنساهم أنفسهم فلم يعملوا لها خيراً وأصبحوا بذلك فاسقين عن أمر الله تعالى خارجين عن طاعته. وقوله تعالى ﴿لا يستوى[4] أصحاب النار

---

(١) هذا ضرب مثل للمنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم، وحذف حرف العطف لأن الكلام معطوف على سابقه وهو (كمثل الذين من قبلهم) الخ لأن حذف حرف العطف شائع تقول: أنت عاقل أنت كريم أنت كذا بلا حرف عطف.

(٢) هنا روى غير واحد من السلف حديثاً يتضمن قصة تشرح هذه الآية الكريمة كمثل الشيطان إذ قال للإنسان.. الخ وهي أن راهباً تركت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها فزيّن له الشيطان فوطئها فحملت ثم قتلها خوفاً أن يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده أنه إن سجد له أنجاه منهم فسجد له فتبرأ منه فأسلمه لقاتليه وتركه، واسم هذا الراهب، برصيصا.

(٣) أطلق لفظ الغد وأريد به يوم القيامة جرياً على عادة العرب فإنهم يطلقون لفظ الغد كناية عن المستقبل، وقيل إطلاق لفظ الغد هنا إشارة إلى قرب الساعة كما قال الشاعر: فإن يكُ صدر هذا اليومِ ولى فإن غداً لناظره قريب

(٤) هذه الجملة: (لا يستوي..) الخ تذييل لما سبقها وهي كالفذلكة لما تقدم من الأمر بتقوى الله عز وجل وبيان حال المتقين الذاكرين والناسين الفاسقين.

وأصحاب الجنة﴾، أصحاب النار في الدركات السفلى، وأصحاب الجنة في الفراديس العلا فكيف يستويان، إذ أصحاب الجنة فائزون، وأصحاب النار خاسرون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ ضرب مثل لحال الكافرين في عدم الاتعاظ بحال غيرهم.

٢ـ التحذير من سبل الشيطان وهي الإغراء بالمعاصي وتزيينها فاذا وقع العبد في الهلكة تبرأ الشيطان منه وتركه في محنته وعذابه.

٣ـ وجوب التقوى بفعل الأوامر وترك النواهي.

٤ـ وجوب مراقبة الله تعالى والنظر يومياً فيما قدم الإنسان للآخرة وما أخر.

٥ـ التحذير من نسيان الله تعالى المقتضى لعصيانه فإن عقوبته خطيرة وهي أن يُنسى الله العبد نفسه فلا يقدم لها خيراً قط فيهلك ويخسر خسراناً مبيناً.

٦ـ عدم التساوي بين أهل النار وأهل الجنة، إذ أصحاب النار لم ينجو من المرهوب وهو النار، ولم يظفروا بمرغوب وهو الجنة، وأصحاب الجنة على العكس سلموا من المرهوب، وظفروا بالمرغوب نجوا من النار ودخلوا الجنان.

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل : **أي وجعلنا فيه تميزاً وعقلاً وإدراكاً.**

لرأيته خاشعاً متصدعاً : أي لرأيت ذلك الجبل متشققاً متطامناً ذليلاً .

من خشية الله : أي من خوف الله خشية أن يكون ما أدى حقه من التعظيم .

وتلك الأمثال نضربها للناس[1] : أي مثل هذا المثل نضرب الأمثال للناس .

لعلهم يتفكرون : أي يتذكرون فيؤمنون ويوحدون ويطيعون .

هو الله الذي لا إله الا هو : أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق الا هو عز وجل .

عالم الغيب والشهادة : أي عالم السر والعلانية .

هو الرحمن الرحيم : أي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما .

هو الله الذي لا إله إلا هو : أي لا معبود بحق الا هو لأنه الخالق الرازق المدبر وليس لغيره ذلك .

الملك القدوس : أي الذي يملك كل شيء ويحكم كل شيء القدوس الطاهر المنزه عما لا يليق به .

السلام المؤمن المهيمن : أي ذو السلامة من كل نقص الذي لا يطرأ عليه النقص المصدق رسله بالمعجزات . المهيمن : الرقيب الشهيد على عباده بأعمالهم .

العزيز الجبار المتكبر : العزيز في انتقامه الجبار لغيره على مراده ،المتكبرعلى خلقه .

سبحان الله عما يشركون : أي تنزيها لله تعالى عما يشركون من الآلهة الباطلة

هو الله الخالق البارىء : أي هو الإله الحق لا غيره الخالق لكل المخلوقات المنشىء لها من العدم .

المصور : أي مصور المخلوقات ومركبها على هيئات مختلفة .

له الأسماء الحسنى : أي تسعة وتسعون اسماً كلها حسنى في غاية الحسن .

يسبح له ما في السموات والأرض : أي ينزهه ويسبحه بلسان القال والحال جميع ما في السموات والأرض .

وهو العزيز الحكيم : أي العزيز الغالب على أمره الحكيم في جميع تدبيره .

---

(١) هذه الجملة في الآيات تذييل لأنّ ما قبلها سيق مساق المثل فذيل بأن الأمثال التي يضربها الله تعالى في كلامه المراد منها أن يتفكر فيها الناس ليهتدوا إلى ما ينجيهم ويسعدهم .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن . .﴾[1] لما أمر تعالى في الآيات السابقة ونهى ووعظ وذكر بما لا مزيد عليه أخبر أنه لو أنزل هذا القرآن العظيم على جبل بعد أن خلق فيه إدراكاً وتمييزاً كما خلق ذلك في الإنسان لَرُؤِيَ ذلك الجبل خاشعاً ذليلاً متصدعاً متشققاً من خشية الله أي من الخوف من الله لعله قصّر في حق الله وحق كتابه ما أداهما على الوجه المطلوب، وفي هذا موعظة للمؤمنين ليتدبروا القرآن ويخشعوا عند تلاوته وسماعه. ثم أخبر تعالى أنّ ما ضرب من أمثال في القرآن ومنها هذا المثل المضروب بالجبل. يقول نجعلها للناس رجاء أن يتفكروا فيؤمنوا ويهتدوا إلى طريق كمالهم وسعادتهم ثم أخبر تعالى عن جلاله وكماله بذكر أسمائه وصفاته فقال ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود بحق إلا هو، عالم الغيب والشهادة أي السر والعلن والموجود والمعدوم والظاهر والباطن. هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء الرحيم بعباده المؤمنين، الملك الذي له ملك السموات والأرض والمدبر للأمر في الأرض والسماء، القدوس[2] الطاهر المنزه عن كل نقص وعيب عن الشريك والصاحبة والولد. السلام[3] ذو السلامة من كل نقص مفيض السلام على من شاء من عباده. المؤمن المصدق رسله بما آتاهم من المعجزات المصدق عباده المؤمنين فيما يشكون إليه مما أصابهم، ويطلبونه ماهم في حاجة إليه من رغائبهم وحاجاتهم، المهيمن على خلقه الرقيب عليهم المتحكم فيهم لا يخرج شيء من أعمالهم وتصرفاتهم عن إرادته وإذنه، العزيز الغالب على أمره الذي لا يمانع فيما يريده. الجبار[4] للكل على مُرادِه وما يريده، المتكبر على كل خلقه وله الكبرياء في السموات والأرض والجلال والكمال والعظمة.

وقوله تعالى ﴿سبحان الله عما يشركوه﴾ نزه تعالى نفسه عما يشرك به المشركون من عبدة الأصنام والأوثان وغيرها من كل ما عبُد من دونه سبحانه وتعالى هو الله الخالق الباريء المصور:

---

(١) (لو) هذه حرف امتناع لامتناع أي: امتنع إنزال القرآن على جبل فامتنعت رؤيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، ولو حصل الأول لحصل الثاني.

(٢) لفظ القدوس: مشتق من القدس بلغة الحجاز وهو: السطل لأنه يتطهر به، ومنه القادوس لواحد الأواني التي يستخرج بها الماء للتطهر وغيره قال ثعلب اللغوي: كل اسم على وزن فعول فهو مفتوح الأول نحو سعود، وكلوب، وتنور إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيها أكثر من الفتح.

(٣) لاسم السلام ثلاث معانٍ صادقة: منها ذو السلامة كما في التفسير ومنها ذو السلام: أي المسلم على عباده في الجنة: ومنها الذي سلم من كل عيب وبرىء من كل نقص.

(٤) الجبار: قال ابن عباس: هو العظيم وجبروت الله: عظمته وهو على هذا القول صفة ذات من قولهم: نخلة جبارة. قال الشاعر:

سوامق جبّار أثيث فروعه ... وعالين قنواناً من البسر أحمرا

السوامق: مرتفعات، وأثيث: الملتف: والقنوان: العذق.

المقدر للخلق الباريء له المصور له في الصورة التى أراد أن يوجده عليها . له الأسماء الحسنى وهي مائة اسم الا اسماً واحداً كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في صحيح البخارى وأسماؤه متضمنـة صفاته وكُل أسمائه حسنى وكل صفاته عليا منزه عن صفات المحدثين يسبح له ما في السموات والأرض من مخلوقات وكائنات أي ينزهه ويقدسه عما لا يليق به ويدعوه ويرغب إليه في بقائه وكمال حياته . وهو العزيز الحكيم الغالب على أمره الحكيم في تدبير ملكه .

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان ما حواه القرآن من العظات والعبر، والأمر والنهى والوعد والوعيد الأمر الذي لو أن جبلاً ركب فيه الإدراك والتمييز كالإنسان ونزل عليه القرآن لخشع وتصدع من خشية الله .

٢ـ استحسان ضرب الأمثال للتنبيه والتعليم والإرشاد . ٣ـ تقرير التوحيد ، وأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ٤ـ إثبات أسماء الله تعالى ، وأنها كلها حسنى ، وأنها متضمنة صفات عليا .

٥ـ ذكر أسمائه تعالى تعليم لعباده بها ليدعوه بها ويتوسلوا بها إليه .

سُورَةُ المُمْتَحَنَة (١)

مدنيـة وآياتها ثلاث عشرة آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن

---

(١) قال القرطبي : المشهور في اسم هذه السورة أنه الممتحنة بكسر الحاء اسم فاعل ، وهو الذي جزم به السُّهَيْلي ، والمراد من الممتحنة الآية التي في هذه السورة إذ بها تمتحن المرأة التي تجيء مهاجرة من بلادها وتترك زوجها . والآية هي قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الخ ورجح الحافظ ابن حجر فتح الحاء باسم المفعول أي : المرأة الممتحنة .

يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

لا تتخذوا عدوى وعدوكم : أي الكفار والمشركين.

أولياء تلقون إليهم بالمودة : أي لا تتخذوهم أنصاراً توادونهم.

وقد كفروا بما جاءكم من الحق : أي الإسلام عقيدة وشريعة.

يخرجون الرسول وإياكم : أي بالتضييق عليكم حتى خرجتم فارين بدينكم.

أن تؤمنوا بربكم : أي لأجل أن آمنتم بربكم.

إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي : فلا تتخذوهم أولياء ولا تبادلوهم المودة.

تسرون إليهم بالمودة : أي توصلون إليهم خبر خروج الرسول لغزوهم بطريقة سرية.

ومن يفعله منكم : أي ومن يوادهم فينقل إليهم أسرار النبي في حروبه وغيرها.

فقد ضل سواء السبيل : أي أخطأ طريق الحق الجادة الموصلة إلى الإسعاد.

إن يثقفوكم : أي أن يظفروا بكم متمكنين منكم في مكانٍ ما.

يكونوا لكم أعداء : أي لا يعترفون لكم بمودة.

ويبسطوا إليكم أيديهم : أي بالضرب والقتل.

وألسنتهم بالسوء : أي بالسب والشتم.

وودوا لو تكفرون : أي وأحبوا لو تكفرون بدينكم ونبيكم وتعودون إلى الشرك معهم.

لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم : أي إن توادوهم وتسروا إليهم بالأخبار الحربية تقرباً إليهم من أجل أن يراعوا لكم أقرباءكم وأولادكم المشركين بينهم فاعلموا أنكم لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة.

يوم القيامة يفصل بينكم : أي فتكونون في الجنة ويكون المشركون من أولاد وأقرباء وغيرهم في النار.

معنى الآيـات :

فاتحة هذه السورة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى[1] وعدوكم أولياء . . .﴾ الآيات . نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة وكان من المهاجرين الذين شهدوا بدراً روى مسلم في صحيحه عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ «موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلا» فإن بها ظعينة «امرأة مسافرة»[2] معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا نهادى خيلنا أي نسرعها فإذا نحن بامرأة فقلنا أخرجي الكتاب ، فقالت ما معي كتاب . فقلنا لتخرجن الكتاب ، أو لَتُلْقِنَّ الثياب[3] «أي من عليك» فأخرجته من عقاصها أي من ظفائر شعر رأسها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا به من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : يا حاطب ما هذا؟ فقال لا تعجل عليّ يا رسول الله إنى كنت امرءاًملصقاً في قريش «أي كان حليفاً لقريش ولم يكن قرشياً» وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي ، ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وإن كتابي لا يغنى عنهم من الله شيئاً ، وأن الله ناصرك عليهم . فقال النبي ﷺ صدق . فقال عمر رضي الله عنه دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم﴾ من الكفار والمشركين ﴿أولياء﴾ أي أنصاراً ﴿تلقون إليهم[4] بالمودة﴾ أي أسرار النبي ﷺ الحربية ذات الخطر والشأن . والحال أنهم قد كفروا بما جاءكم من الحق الذي هو دين الإسلام بعقائده وشرائعه وكتابه ورسوله . يخرجون الرسول وإياكم من[5] دياركم بالمضـايقة لكم حتى هاجرتم فارين بدينكم ، أن تؤمنوا بربكم[6] أي من أجل أن آمنتم بربكم . ، أمثل هؤلاء الكفرة الظلمة تتخذونهم أولياء تدلون إليهم بالمودة . . إنه لخطأ جسيم

(١) العدو: ذو العداوة وهو فعول بمعنى فاعل من عدا يعدو وأصله مصدر على وزن فعول مثل قبول، ولما كان على وزن المصادر عومل معاملة المصدر فاستوى في الوصف به المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث .

(٢) تسمى سارة مولاة لأبي عمرو بن صيفر بن هاشم بن عبدمناف وهي يومئذ مشركة .

(٣) في رواية ، أو لتلقين الثياب أي : لنجردنك من ثيابك .

(٤) جائز أن تكون جملة : (تلقون) في محل نصب على الحال من ضمير (لا تتخذوا) والإلقاء حقيقته : رمي ما في اليد على الأرض ، واستعير لإلقاء الشيء بدون تدبر في موقعه أي : تصرفون إليهم مودتكم بدون تأمل في آثارها الضارة .

(٥) الجملة : حال من الضمير في كفروا وحكيت بالمضارع لاستحضار الصورة البشعة في الذهن .

(٦) أي : لأن تؤمنوا بالله ربكم علة وسبب إخراجهم إياكم من دياركم أي : هو اعتداء حملهم عليه أنكم آمنتم بالله ربكم .

ممن فعل هذا.

وقوله تعالى: ﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾[1] أي إن كنتم خرجتم من دياركم مجاهدين في سبيلي أي لنصرة ديني ورسولي وأوليائي المؤمنين وطلبا لرضاي فلا تتخذوا الكافرين أولياء من دوني تلقون إليهم بالمودة.

وقوله تعالى تسرون[2] إليهم بالمودة أي تخفون المودة إليهم بنقل أخبار الرسول السرية والحال أني ﴿أعلم﴾ منكم ومن غيركم ﴿بما أخفيتم وما أعلنتم﴾. وها قد أطلعت رسولي على رسالتكم المرفوعة إلى مشركي مكة والتى تتضمن فضح سر رسولي في عزمه على غزوهم مفاجأة لهم حتى يتمكن من فتح مكة بدون كثير إراقة دم وإزهاق أنفس.

وقوله تعالى: ﴿ومن يفعله منكم﴾ أي الولاء والمودة للمشركين فقد ضل سواء السبيل أي اخطأ وسط الطريق المأمون من الانحراف يريد جانب الإسلام الصحيح.

وقوله تعالى: ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون﴾ أي أنهم أعداؤكم حقاً إن يثقفوكم أي يظفروا بكم متمكنين منكم يكونوا لكم أعداء ولا يبالون بمودتكم إياهم، ويبسطوا إليكم أيدهم بالضرب والقتل وألسنتهم بالسب والشتم وتمنوا كفركم لتعودوا إلى الشرك مثلهم.

وقوله تعالى: ﴿لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم﴾[3] الذين وإددتم الكفار من أجلهم من عذاب الله في الآخرة إذ حاطب كتب الكتاب من أجل قرابته وأولاده فبين تعالى خطأ حاطب في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾ بأن تكونوا في الجنة أيها المؤمنون ويكون أقرباؤكم وأولادكم المشركون في النار. فما الفائدة إذاً من المعصية من أجلهم؟! والله بما تعملون بصير فراقبوه واحذروه فلا تخرجوا عن طاعته وطاعة رسوله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة موالا ة الكافرين بالنصرة والتأييد والمودة دون المسلمين.

---

(١) هذه الجملة شرطية ذيّل بها النهي: (لا تتخذوا عدوي) والغرض هو تأكيد الكلام السابق.

(٢) الجملة بيانية لسابقتها، وجملة: (وأنا أعلم) حالية فيها معنى التعجب بضميمة التي قبلها.

(٣) (لن تنفعكم..) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً إذ الذي يسمع جملة: (ودوا لو تكفرون) يتطلع إلى ما يترتب على الكفر فيجاب بجملة: لن تنفعهم أرحامهم ولا أولادهم ولو في قوله: (ودوا لو تكفرون) مصدرية أي: ودوا كفركم.

٢ـ الذي ينقل أسرار المسلمين الحربية الى الكافرين على خطر عظيم وإن صام وصلى.
٣ـ بيان أن الكافرين لا يرحمون المؤمنين متى تمكنوا منهم لأن قلوبهم عمياء لا يعرفون معروفاً ولا منكراً بظلمة الكفر في نفوسهم وعدم مراقبة الله عز وجل لأنهم لا يعرفونه ولا يؤمنون بما عنده من نعيم وجحيم يوم القيامة.
٤ـ فضل أهل بدر وكرامتهم على الله عز وجل.
٥ـ قبول عذر الصادقين الصالحين ذوى السبق في الإسلام إذا عثر أحدهم اجتهاداً منه.
٦ـ عدم انتفاع المرء بقرابته يوم القيامة إذا كان مسلماً وهم كافرون.

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾

شرح الكلمات:

قد كان لكم : أي أيها المؤمنون.
أسوة حسنة : أي قدوة صالحة.
في إبراهيم والذين معه : من المؤمنين فأتسوا بهم.
إذ قالوا لقومهم : أي المشركين.
إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله : أي نحن متبرئون منكم، ومن أوثانكم التي تعبدونها.

كفرنا بكم : أي جحدنا بكم فلم نعترف لكم بقرابة ولا ولاء.

وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء : أي ظهر ذلك واضحاً جلياً لا لبس فيه ولا خفاء.

حتى تؤمنوا بالله وحده : أي ستستمر عداوتنا لكم وبغضنا إلى غاية إيمانكم بالله وحده.

وإليك أنبنا : أي رجعنا في أمورنا كلها.

ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا : أي بأن تظهرهم علينا فيفتنوننا في ديننا ويفتتنون بنا يرون أنهم على حق لما يغلبوننا.

لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة : أي لقد كان لكم أيها المؤمنون في إبراهيم والذين معه أسوة حسنة.

لمن كان يرجو الله واليوم الآخر : أي هي أسوة حسنة لمن كان يؤمن بالله ويرجو ما عنده يوم القيامة.

ومن يتول : أي لم يقبل ما أرشدناه إليه من الإيمان والصبر فيعود إلى الكفر.

فإن الله غني حميد : أي فإن الله ليس في حاجة إلى إيمانه وصبره فإنه غنيٌ بذاته لا يفتقر إلى غيره، حميد أي محمود بآلائه وإنعامه على عباده.

معنى الآيات :

لما حرم تعالى على المؤمنين موالاة الكافرين مع وجود حاجة قد تدعو إلى موالاتهم كما جاء ذلك في اعتذار حاطب بن أبي بلتعة أراد تعالى أن يشجعهم على معاداة الكافرين وعدم موالاتهم بحال من الأحوال لما في ذلك من الضرر والخطر على العقيدة والصلة بالله وهي أعز ما يملك المؤمنون أعلمهم بأنه يُوجد لهم أسوة[1] أي قدوة حسنة في إبراهيم خليله والمؤمنين معه[2] فإنهم على قلتهم وكثرة عدوهم وعلى ضعفهم وقوة خصومهم تبرأوا من أعداء الله وتنكروا لأية صلة تربطهم بهم فقالوا ما قص الله تعالى عنهم في قوله ﴿إِنَّا بُرءاءُ منكم ومما تعبدون من دون الله﴾ «من أصنام وأوثان» كفرنا بكم فلم نعترف لكم بوجود يقتضي مودتنا ونصرتنا لكم، وبدا أي ظهر بيننا وبينكم العداوة[3] والبغضاء بصورة مكشوفة لا ستار عليها لأننا موحدون وأنتم مشركون،

(١) قرأ نافع (إسوة) بكسر الهمزة، وقرأها حفص بالرفع وهي القدوة الصالحة.

(٢) هم: سارة زوجه ولوط ابن أخيه فهم المعنيون بقوله تعالى: (والذين معه).

(٣) العداوة: هي المعاملة بالسوء والاعتداء والبغضاء نفرة النفس والكراهية للمبغض.

لأننا مؤمنون وأنتم كافرون، وسوف تستمر هذه المعاداة وهذه البغضاء بيننا وبينكم حتى تؤمنوا بالله وحده رباً وإلهاً لا رَبَّ غيره ولا إله سواه إذاً فأتسوا أيها المسلمون بإمام الموحدين إبراهيم اللهم إلا ما كان من استغفار ابراهيم لأبيه فلا تأتسوا به ولا تستغفروا لموتاكم المشركين فإن ابـراهـيم قد ترك ذلـك لمـا علم أن أبـاه لا يؤمن وأنـه يمـوت كافـراً وأنـه في النـار فقـال تعـالى إلا قول إبـراهيم[1] لأبيه «آزر» لأستغفرن لك وماأملك لك من الله من شيء أي غير الاستغفار. وكان هذا عن وعد قطعه له ساعة المفارقة له إذ قال في سورة مريم: ﴿قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًا﴾ وجاء في سورة التوبة قوله تعالى ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياهُ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه﴾.

وقوله تعالى ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا﴾ أي رجعنا من الكفر إلى الإيمان بك وتوحيدك في عبادتك، وإليك المصير. أي مصير كل شيء يعود إليك وينتهى عندك فتقضى وتحكم بما تشاء. ربنا لا تجعلنا فتنة[2] للذين كفروا أي لا تظهرهم علينافيفتنونـافي ديننا ويردونا إلى الكفر، ويفتنـون بنا فيرون أنهم لما غلبونا أنهم على حق ونحن على باطل فيزدادون كفراً ولا يؤمنون.

واغفر لنا ربنا أي ذنوبنا السالفة واللاحقة فلا تؤاخذنا بها إنك أنت العزيز الغالب المنتقم ممن عصاك الحكيم في تدبيرك لأوليائك فدبر لنا ما ينفعنا ويرضيك عنا. هذا الابتهال والضراعة من قوله تعالى ربنا عليك توكلنا إلى الحكيم من الجائز أن يكون هذا مما قاله إبراهيم والمؤمنون معه وأن يكون إرشاداً من الله للمؤمنين أن يقولوه تقوية لإيمانهم وتثبيتاً لهم عليه كما فعل ذلك إبراهيم ومن معه. وقوله تعالى لقد كان لكم فيهم[3] أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر تأكيد لما سبق وتقرير له وتحريك للهمم لتأخذ به. وقوله لمن[4] كان يرجو بالله واليوم الآخر إذ هم الذين ينتفعون بالعبر ويأخذون بالنصائح لحياة قلوبهم بالإيمان.

وقوله تعالى: ومن يتول أي عن الأخذ بهذه الأسوة فيوالي الكافرين فإن الله غني عن إيمانه وولايته له التي استبدلها بولاية أعدائه حميد أي محمود بآلائه وإنعامه على خلقه.

---

(١) الاستثناء منقطع إذ هذا القول ليس من جنس قولهم: (إنا براء منكم) إذ قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك هو رفق بأبيه وهو مغاير للتبرؤ.

(٢) الفتنة: اضطراب الحال وفساده، ومعنى الآية: سؤال الله تعالى أن لا يجعلهم فتنة للذين كفروا أي: أن لا يسلط عليهم الذين كفروا حتى لا يفتنوهم في دينهم ويجوز أن يكون فتنة: اسم فاعل أي: لا تجعلنا بضعفنا فاتنين لهم صارفين لهم عن الإسلام كما هو في التفسير وهو واضح غاية الوضوح.

(٣) (فيهم): أي في ابراهيم والمؤمنين معه، والأسوة الحسنة: القدوة الصالحة أي: اقتدوا بهم في البراءة من الشرك والمشركين.

(٤) هذه الجملة بدل من جملة: (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة..).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ وجوب الاقتداء بالصالحين في الإيتساء بهم في الصالحات.

٢ـ حرمة موالاة الكافرين ووجوب معاداتهم ولو كانوا أقرب قريب.

٣ـ كل عداوة وبغضاء تنتهي برجوع العبد إلى الإيمان والتوحيد بعد الكفر والشرك.

٤ـ لا يجوز الاقتداء في غير الحق والمعروف فإذا أخطأ العبد الصالح فلا يتابع على الخطأ.

٥ـ وجوب تقوية المؤمنين بكل أسباب القوة لأمرين الأول خشية أن يغلبهم الكافرون فيفتنوهم في دينهم ويردوهم إلى الكفر والثاني حتى لا يظن الكافرون الغالبون أنهم على حق بسبب ظهورهم على المسلمين فيزدادوا كفراً فيكون المسلمون سبباً في ذلك فيأثمون للسببية في ذلك.

۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

عاديتم منهم : أي من كفار قريش بمكة طاعة لله واستجابة لأمره.

مودة : أي محبة وولاء وذلك بأن يوفقهم للإيمان والإسلام فيؤمنوا ويسلموا ويصبحوا أولياءكم.

والله قدير : أي على ذلك وقد فعل فأسلم بعد الفتح أهل مكة إلا قليلاً منهم.

لم يقاتلوكم في الدين : أي من أجل الدين.

أن تبروهم : أي تحسنوا إليهم.

وتقسطوا إليهم : أي تعدلوا فيهم فتنصفوهم

إن الله يحب المقسطين : أي المنصفين العادلين في أحكامهم ومن ولوا.

وظاهروا على إخراجكم : أي عاونوا وناصروا العدو على إخراجكم من دياركم.

أن تولوهم : أي تتولهم بالنصرة والمحبة.

فأولئك هم الظالمون : لأنهم وضعوا الولاية في غير موضعها، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بيان حكم الموالاة للكافرين فإنه لما حرم تعالى ذلك، وكان للمؤمنين قرابات كافرة وبحكم إيمانهم واستجابتهم لنداء ربهم قاطعوهم فَبَشَّرَهُم تعالى في هذه الآية الكريمة بأنه عز وجل قادر على أن يجعل بينهم وبين أقربائهم مودة فقال عز من قائل ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾ أي من المشركين ﴿مودة﴾[1]. وذلك بأن يوفقهم للإسلام، وهو على ذلك قدير وقد فعل وله الحمد والمنة فقد فتح على رسوله مكة وبذلك آمن أهلها إلا قليلاً فكانت المودة وكان الولاء والإيخاء مصداقاً لقوله عز وجل عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم فقد تاب عليهم بعد أن هداهم وغفر لهم ما كان منهم من ذنوب ورحمهم.

وقوله تعالى :﴿لاينهاكم الله عن[2] الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ بمضايقتكم أن تبروهم أي بالإحسان إليهم بطعام[3] أو كسوة أو إركاب وتقسطوا أي تعدلوا فيهم بأن تنصفوهم وهذا عام في كل الظروف الزمانية والمكانية وفي كل الكفار. ولكن بالشروط التى ذكر تعالى . وهي :

أولا : أنهم لم يقاتلونا من أجل ديننا.

---

(١) هذا بعد أن يسلم الكافرون ويوحد المشركون وفعلاً فقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة ووالاهم المسلمون كأبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام ومن مظاهر هذه المودة تزوج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان وبذلك لانت عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمته في العدواة حتى إنه لما بلغه تزوج النبي ﷺ بها قال: ذلك الفحل لا يقدح أنفه أي: لا يضرب أنفه، وهي كلمة مدح.

(٢) اختلف في هل هذه الآية محكمة أو منسوخة بقتال المشركين؟ والذي عليه أكثر أهل العلم سلفاً وخلفاً أنها محكمة بما ذكر فيها من شروط وأن العمل بها باق ببقاء الإسلام كما هو في التفسير.

(٣) روى البخاري ومسلم وأبو داود أن قتيلة أم أسماء بنت أبي بكر الصديق قدمت عليها أمها في فترة الهدنة بين الرسول ﷺ والمشركين وأهدتها قرطاً وأشياء فكرهت أن تقبل ذلك فأتت النبي ﷺ فذكرت له ذلك فأذن لها في قبول هدية أمها واستأذنته في صلتها؟ فقال لها صلي أمك.

وثانيا: لم يخرجونا من ديارنا بمضايقتنا وإلجائنا إلى الهجرة.

وثالثا: أن لا يعاونوا عدواً من أعدائنا بأي معونة ولو بالمشورة والرأي فضلاً عن الكراع والسلاح.

وقوله تعالى: ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ ترغيب لهم في العدل والانصاف حتى مع الكافر وقوله تعالى ﴿إنما ينهاكم الله﴾ عن موالاة الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا أي أعانوا ﴿على إخراجكم أن تولوهم﴾ أي ينهاكم عن موالاتهم. ﴿ومن يتولهم منكم﴾ معرضاً عن هذا الإرشاد الإلهي والأمر الرباني ﴿فأولئك هم الظالمون﴾أي لأنفسهم المتعرضون لعذاب الله ونقمته لوضعهم الموالاة في غير موضعها بعدما عرفوا ذلك وفهموه.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان حكم الموالاة الممنوعة والمباحة في الإسلام.

٢ـ الترغيب في العدل والإنصاف بعد وجوبهما للمساعدة على القيام بهما.

٣ـ تقرير ما قال أهل العلم: أن عسى من الله تفيد وقوع ما يرجى بها ووجوده لا محالة. بخلافها من غير الله فهي للترجي والتوقع وقد يقع ما يُترجى بها وقد لا يقع.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات	: أي المؤمنات بألسنتهن مهاجرات من الكفار.
فامتحنوهــن	: أي اختبروهن بالحلف أنهن ما خرجن الا رغبة في الإسلام لا بغضاً لأزواجهن، ولا عشقا لرجال من المسلمين.
فإن علمتموهن مؤمنات	: أي صادقات في إيمانهن بحسب حلفهن.
فلا ترجعوهن إلى الكفار	: أي لا تردوهن إلى الكفار بمكة.
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن	: لا المؤمنات يحللن لأزواجهن الكافرين، ولا الكافرون يحلون لأزواجهم المؤمنات.
وآتوهم ما أنفقوا	: أي وأعطوا الكفار أزواج المؤمنات المهاجرات المهور التى أعطوها لأزواجهم.
ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن	: أي مهورهن، وإن لم يتم طلاق من أزواجهن لانفساخ العقد بالإسلام. وبعد انقضاء العدة في المدخول بها وباقى شروط النكاح.
ولا تمسكوا بعصم الكوافر	: أي زوجاتكم، لقطع إسلامكم للعصمة الزوجية. و كذا من ارتدت ولحقت بدار الكفر. إلا أن ترجع إلى الإسلام قبل انقضاء عدتها فلا يفسخ نكاحها وتبقى العصمة إن كان مدخولا بها.
واسألوا ما أنفقتم	: أي أطلبوا ما أنفقتم عليهن من مهور في حال الارتداد.
وليسألوا ما أنفقوا	: أي على المهاجرات من مهور في حال إسلامهن.
وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار	: أي بأن فرت امرأة أحدكم إلى الكفار ولحقت بهم ولم يعطوكم مهرها فعاقبتم أي الكفار فغنمتم منهم غنائم.
فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما انفقوا	: أي فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهن من مهور.
واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون	: أي وخافوا الله الذي أنتم به مؤمنون فأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه.

معنى الآيـتين :

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ الآيتين (١٠) و (١١) نزلتا بعد صلح الحديبية إذ تضمنت وثيقة الصلح ان من جاء الرسول ﷺ من مكة من الرجال رده إلى مكة ولو كان مسلماً، ومن جاء المشركين من المدينة لم يردوه إليه ولم ينص عن النساء، وأثناء ذلك جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط[١] مهاجرة من مكة إلى المدينة فلحق بها أخواها عمار والوليد ليردّاهما[٢] إلى قريش فنزلت هذه الآية الكريمة فلم يردها عليهما ﷺ قال تعالى ﴿يا أيها الـذين آمنـوا[٣]﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً وبمحمد نبيّاً ورسولاً والإسلام ديناً إذا جاءكم المؤمنـات مهـاجـرات من دار الكفـر إلى دار الإسلام فامتحنوهن[٤] ـ الله أعلم بإيمانهن ـ فإن علمتموهن أي غلب على ظنكم أنهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار وصورة الامتحان أن يقال لها احلفى بالله أي قولي بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت إلا رغبة في الإسلام لا بغضاً لزوجي، ولا عشقا لرجل مسلم.

وقوله تعالى: ﴿لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ لأن الإسلام فصم تلك العصمة التي كانت بين الزوج وزوجته، إذ حرم الله نكاح المشركات، وإنكاح المشركين، ولذا لم يأذن الله تعالى في ردهن إلى أزواجهن الكافرين.

وقوله تعالى ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ إذا جاء زوجها المشرك يطالب بها أعطوه ما أنفق عليها من مهر والذي يعطيه هو جماعة المسلمين وإمامهم.

وقـوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ أي تتزوجهن إذا آتيتموهن أجورهن أي مهورهن مع باقي شروط النكاح من ولي وشاهدين وانقضاء العدة في المدخول بها.

وقـولـه تعـالى: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ أي إذا أسلم الرجل وبقيت امرأته مشركة انقطعت عصمة الزوجية وأصبحت لا تحل لزوجها الذي أسلم، وكذا إذا ارتدت امرأة مسلمة

---

(١) وكـذلك جاءت سبيعة الأسلمية مهاجرة هاربة من زوجها صيفي، وجاءت أميمة بنت بشر هاربة من زوجها ثابت بن الشمراخ، فجاء أزواجهن مطالبين بهن فقال زوج سبيعة للنبي ﷺ إن طينة الكتاب الذي بيننا وبينك لم تجف بعد فنزلت هذه الآية.

(٢) ذكر القرطبي أن أخوي أم كلثوم أتيا النبي ﷺ مع اختهما مهاجرين وأن النبي ﷺ ردهما على المشركين ولم يرد اختهما أم كلثوم وكانت تحت عمرو بن العاص وهو مشرك يومئذ، وذكر ابن كثير: أن أخوي أم كلثوم وفدا يطالبان بأختهما لا مهاجرين وهذا الظاهر.

(٣) لما كانت المعاهدة لم تنص على النساء بلفظ صريح وهو لفظ أحد وهو صالح للرجال والنساء نزلت هذه الآية مخرجة للنساء من عموم لفظ (أحد) فالآية مبينة أو ناسخة والكل صالح.

(٤) اختلف في صيغة الامتحان فقال ابن عباس: كانت المحنة أن تستحلف بالله أنها ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا التماس دنيا ولا عشقاً لرجل منا بل حباً لله ورسوله فإن حلفت على ذلك، أعطى النبي ﷺ زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يردها.

ولحقت بدار الكفر فإن العصمة قد انقطعت، ولا يحل الإمساك بها وفائدة ذلك لو كان تحت الرجل نسوة له أن يزيد رابعة لأن التي ارتدت أو التي كانت مشركة واسلم وهي في عصمته لا تمنعه من أن يتزوج رابعة لأن الإسلام قطع العصمة لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصم جمع عصمة.

وقوله تعالى: ﴿واسألوا ما أنفقتم﴾ اطلبوا من المرتدة ما أنفقتم عليها من مهر يؤدى لكم وليسألوا هم ما أنفقوا وأعطوهم ايضا مهور نسائهم اللائي أسلمن وهاجرن إليكم وقوله تعالى: ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم﴾ بخلقه وحاجاتهم ﴿حكيم﴾ في قضائه وتدبيره فليسلم له الحكم وليرض به فإنه قائم على أساس المصلحة للجميع. [1]

وقوله تعالىٰ ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلىٰ الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ أي وإن ذهب بعض نسائكم إلىٰ الكفار مرتدات، وطالبتم بالمهور فلم يعطوكم، ثم غزوتم وغنمتم فأعطوا من الغنيمة قبل قسمتها الذي ذهبت زوجته إلىٰ دار الكفر ولم يحصل علىٰ تعويض أعطوه مثل ما أنفق.

وقوله: ﴿واتقوا[2] الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ أي خافوا عقابه فأطيعوه في أمره ونهيه ولا تعصوه.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١- وجوب امتحان المهاجرة فإن علم اسلامها لا يحل إرجاعها الى زوجها الكافر لأنها لاتحل له، واعطاؤه ما أنفق عليها من مهر. ويجوز بعد ذلك نكاحها بمهر وولي وشاهدين إن كانت مدخولا بها فبعد انقضاء عدتها وإلا فلا حرج في الزواج بها فوراً.

٢- حرمة نكاح المشركة.

٣- لا يجوز الإبقاء على عصمة[3] الزوجة المشركة، وللزوج المسلم الذي بقيت زوجته على الكفر، أو ارتدت بعد إسلامها أن يطالب بما أنفق عليها من مهر وللزوج الكافر الذي أسلمت زوجته وهاجرت ان يسأل كذلك ما أنفق عليها.

٤- ومن ذهبت زوجته ولم يُردّ عليه شيء مما أنفق عليها، ثم غزا المسلمون تلك البلاد وغنموا

---

(١) (عاقبتم) أي: غزوتم فغنمتم فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم من المسلمين. حكى الثعلبي: عن ابن عباس أن ستا من النسوة رجعن عن الإسلام ولحقن بالمشركين وسماهن واحدة واحدة وأكرمهن: أم الحكم بنت أبي سفيان وفي هذه نزلت الآية.

(٢) الجملة تذييلية المراد منها تحريض المؤمنين على الوفاء بما أمروا به ونهوا عنه واتبع اسم الجلالة بجملة (الذي أنتم به مؤمنون) إشارة إلى أن الإيمان يبعث على التقوى التي هي: امتثال واجتناب.

(٣) اختلف في الرجل يسلم وتحته كافرة أو كافرة تسلم وهي تحت زوج كافر. والذي عليه الشافعي وأحمد أن العصمة تبقى مدة العدة فإذا انقضت العدة ولم يسلم الكافر منهما يفرق بينهما ولا يحلان لبعضهما. وقال مالك: يفرق بينهما من يوم إسلام أحدهما.

فإن من ذهبت زوجته ولم يعوض عنها يعطى ما أنفقه من الغنيمة قبل قسمتها. وإن لم تكن غنيمة فجماعة المسلمين وإمامهم يساعدونه ببعض ما أنفق من باب التكافل والتعاون.

٥- وجوب تقوى الله تعالى بتطبيق شرعه وانفاذ أحكامه والرضا بها.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

إذا جاءك المؤمنات يبايعنك : أي يوم الفتح والرسول ﷺ على الصفا وعمر أسفل منه.

فبايعهن : أي على أن لا يشركن بالله شيئاً إلى ولا يعصينك في معروف.

أن لا يشركن بالله : أي أي شيء من الشرك أو الشركاء.

ولا يقتلن أولادهن : أي كما كان أهل الجاهلية يقتلون البنات وأداً لهن.

ولا يأتين ببهتان يفترينه : أي بكذب يكذبنه فيأتين بولد ملقوط وينسبنه الى الزوج وهو ليس بولده.

ولا يعصينك في معروف : أي ما عرفه الشرع صالحاً حسناً فأمر به وانتدب إليه. أو ما عرفه الشرع منكراً محرماً.

فبايعهن : أي اقبل بيعتهن.

واستغفر لهن الله : أي أطلب الله تعالى لهن المغفرة لما سلف من ذنوبهن وما قد يأتي.

قوماً غضب الله عليهم : أي اليهود.

قد يئسـوا من الآخرة : أي من ثوابها مع إيقانهم بها، وذلك لعنادهم النبي مع علمهم بِصِدْقِهِ.

كما يئس الكفار من أصحاب القبور: أي كيأس من سبقهم من اليهود الذين كفروا بعيسى وماتوا على ذلك فهم أيضاً قد يئسوا من ثواب الآخرة.

معنى الآيـات :

قوله تعالىٰ﴿يا أيها النبي﴾ إلىٰ قوله ﴿إن الله غفور رحيم﴾[1] هذه آية بيعة النساء، فقد بايع عليها رسول الله ﷺ نسـاء قريش يوم الفتح وهو جالس علىٰ الصفاء وعمر دونه أسفل منه، وهو يبايع، وطلب إليه أن يمد يده فقال إنِّي لا أصافح النساء فبايعهن على أن لا يشركن[2] بالله شيئاً أي من الشرك أو الشركاء ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن كما كان نساء الجاهلية يئدن بناتهن ولا يأتين ببهتان أي كذب يفترينه أي يكذبنه بين أيديهن وأرجلهن أي لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن، ولا يعصينك في معروف[3] بصورة عامة وفي النياحة بصورة خاصة إذ كان النساء في الجاهلية ينُحن على الأموات ويشققن الثياب ويخدشن الوجوه قال تعالى يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك فبايعهن على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن، ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف، فبايعهن واستغفر لهن الله فيما مضى من ذنوبهن وما قد يأتي إن الله غفور رحيم.

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله لا تتولَّوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود لا تتولوهم بالنصرة والمحبة وقد يئسوا من الآخرة أي من ثواب الله فيها بدخول الجنة وذلك لعنادهم رسول الله ﷺ وكفرهم به مع علمهم أنه رسول الله ومن كفر به وكذبه أو عانده وحاربه لا يدخل الجنة فلذا هم آيسون من دخول الجنة. وقوله تعالى ﴿كما يئس الكفار من[4]

---

(١) في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقول الله تعالى: (يا أيها النبي إذا جاءك..) الخ الآية وكان ﷺ إذا أقررن بذلك بقـولهن قال لهن ﷺ انطلقن فقد بايعتكن ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام).

(٢) روي أنَّ النبي ﷺ لما قال: (على أن لا يشركن بالله شيئاً قالت هند بنت عتبة وهي متنقبة والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيتك أخذته على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط ولما قال: ولا يسرقن قالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصيب من ماله قوتاً فقال أبو سفيان هو لك حلال فضحك النبي ﷺ وعرفها لأنها كانت متنكرة لما نالت من حمزة رضي الله عنه وقال: أنت هند؟ فقالت: عفا الله عما سلف. ثم قال: ولا يزنين فقالت هند: أو تزني الحرة؟

(٣) قال قتادة: لا ينحن ولا تخلو امرأة منهن إلا بذي محرم وفي صحيح مسلم عن أم عطية: لما نزلت هذه الآية قالت يارسول الله إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلابد أن أسعدهم فقال ﷺ إلا آل فلان فأذن لها أن تفي بوعدها.

(٤) (كما يئس الكفار) صالح لأن يكون معنى الكلام كما يئس الكفار من عودة أصحاب القبور إليهم. وكما يئس أصحاب القبور من العودة إلى الحياة الأولى، وما في التفسير اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى.

أصحاب القبور﴾ أي كما يئس إخوانهم الذين ماتوا قبلهم من دخول الجنة إذ كفروا بعيسى عليه السلام وحاربوه ووالدته واتهموا عيسى بالسحر ووالدته بالعهر، والعياذ بالله فيئس هؤلاء من دخول الجنة كما يئس من مات منهم ممن هم أصحاب قبور .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ مشروعية أخذ البيعة لإمام المسلمين ووجوب الوفاء بها .

٢ـ حرمة الشرك وما ذكر معه من السرقة والزنا وقتل الأولاد والكذب والبهتان وإلحاق الولد بغير أبيه .

٣ـ حرمة النياحة وما ذكر معها من شق الثياب وخمش الوجوه والتحدث مع الرجال الأجانب .

٤ـ بعد الحرة كل البعد من الزنا إذ قالت هند وهي تبايع أو تزني الحرة؟ قال لا تزني الحرة .

٥ـ حرمة مصافحة النساء لقوله ﷺ في البيعة إني لا أصافح النساء .

٦ـ حرمة موالاة اليهود بالنصرة والمحبة .

سُورَةُ الصَّفِّ

مدنيـة وآياتها أربع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا

زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

سبح لله ما في السموات وما في الأرض أي نزه وقدس بلسان القال والحال جميع ما في السموات وما في الأرض من كائنات.

وهو العزيز الحكيم : أي العزيز الغالب على أمره الحكيم في تدبيره وصنعه.

لم تقولون مالا تفعلون : أي لأي شيء تقولون قد فعلنا كذا وكذا وانتم لم تفعلوا؟ والاستفهام هنا للتوبيخ والتأنيب.

كبر مقتاً عند الله : أي عظم مقتاً والمقت: أشد البغض والمقيت والممقوت المبغوض.

أن تقولوا مالا تفعلون : أي قولكم ما لا تفعلون يبغضه الله أشد البغض.

صفاً كأنهم بنيان مرصوص : أي صافين: ومرصوص ملزق بعضه ببعض لا فرجة فيه.

لم تؤذونني : أي إذ قالوا أنه آدر كذباً فوبخهم على كذبهم وأذيتهم له.

وقد تعلمون أني رسول الله إليكم : أي أتؤذونني والحال أنكم تعلمون أني رسول الله إليكم.

فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم : أي فلما عدلوا عن الحق بإيذائهم موسى أزاغ الله قلوبهم أي أمالها عن الهدى.

والله لا يهدى القوم الفاسقين : أي الذين فسقوا وتوغلوا في الفسق فما أصبحوا أهلاً للهداية.

يا بني إسرائيل : أي أولاد يعقوب الملقب بإسرائيل، ولم يقل يا قوم كما قال موسى لأنه لم يكن منهم لأنه ولد بلا أب، وأمه صديقة.

مصدقاً لما بين يدي : أي قبلي من التوراة.

يأتي من بعده اسمه أحمد : هو محمد رسول الله ﷺ وأحمد أحد أسمائه الخمسة المذكوران والماحي، والعاقب والحاشر.

فلما جاءهم بالبينات : أي على صدق رسالته بالمعجزات الباهرات.

قالوا: هذا سحر مبين : أي قالوا في المعجزات إنها سحر.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿سبح لله[1] ما في السموات وما في الأرض﴾ يُخبر تعالى أنه قد سبحه جميع ما في السموات وما في الأرض بلسان القال والحال، وأنه العزيز الحكيم العزيز الغالب على أمره لا يمانع في مراده الحكيم في صنعه وتدبيره لملكه. بعدما أثنى تعالى على نفسه بهذا خاطب المؤمنين بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم[2] تقولون مالا تفعلون[3]﴾ لفظ النداء عام والمراد به جماعة من المؤمنين قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لفعلناه فلما علموه ضعفوا عنه ولم يعملوا فعاتبهم الله تعالى في هذه الآية ولتبقى تشريعا عاماً إلى يوم القيامة فكل من يقول فعلت ولم يفعل فقد كذب وبئس الوصف الكذب ومن قال سأفعل ولم يفعل فهو مخلف للوعد وبئس الوصف خلف الوعد وهكذا يربى الله عباده على الصدق والوفاء. وقوله تعالى ﴿كبر[4] مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ أي قولكم نفعل ولم تفعلوا مما يمقت عليه صاحبه أشد المقت أي يُبغض أشد البغض.

وقوله تعالى ﴿إن الله يحب[5] الذين يقاتلون في سبيله صفا﴾ أي صافين متلاصقين لا فرجة بينهم كأنهم بنيان مرصوص بعضه فوق بعض لا خلل فيه ولا فرجة كأنه ملحم بالرصاص.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه[6]﴾ أي اذكر إذ قال موسى لقومه من بني اسرائيل يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم والحال أنكم تعلمون أني رسول الله إليكم حقاً وصدقاً، وقد آذوه بشتى أنواع الأذى بألسنتهم السليطة وآرائهم الشاذة من ذلك قولهم إن موسى آدَر ولذا هو لا يغتسل معنا، ومعنى آدر به أُدرة وهي انتفاخ الخصية.

---

(١) في جامع الترمذي عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال احبّ إلى الله لعملناه فأنزل الله تعالى: ﴿سبح لله مافي السموات ومافي الأرض..﴾ الخ السورة. ورواه الحاكم وأحمد وغيره.

(٢) اللام حرف جر والميم حرف استفهام وهو هنا إنكاري توبيخي.

(٣) النداء بوصف الإيمان فيه التعريض بأن الإيمان من شأن صاحبه أن لا يخلف إذا وعد وأن يفي إذا نذر لأنه روح وصاحبه حيٌّ قادر على الفعل والترك بخلاف الكفر وأهله.

(٤) (مقتاً): منصوب على التمييز وهو تمييز نسبة والتقدير: كبر ممقوتاً قولكم مالا تفعلون.

(٥) هذا جواب لقولهم: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه فبيّن لهم أحب الأعمال إليه وهو أحب العاملين عنده فله الحمد وله المنة.

(٦) لعلّ وجه المناسبة بين قصة موسى هنا وعتاب المؤمنين على فرار من فر يوم أحد هو: أن قوم موسى أيضاً جبنوا عن قتال عدوهم وقالوا لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون.

وقوله تعالى: ﴿فلما زاغوا﴾ أي مالوا عن الحق بعد علمه غاية العلم فآثروا الباطل على الحق والشر على الخير والكفر على الإيمان عاقبهم الله فصرف قلوبهم عن الهدى نقمة منه تعالى عليهم، وذلك لأنّه سنته تعالى فيمن عرض عليه الخبر فأباه بعد علمه به، ثم دعى إليه فلم يستجب ثم رغب فيه فلم يرغب وواصل الشر مختاراً له عندئذ يصبح ما اختار من الفسق أو الكفر أو الظلم أو الإجرام طبعاً له وخلقاً ثابتاً لا يتبدل ولا يتغير. وعلى هذا يؤول مثل قوله تعالى والله لا يهدى القوم الفاسقين، والله لا يهدي القوم الظالمين، والله لا يهدي القوم المجرمين، والله لا يهدي القوم الكافرين لأنه تعالى أضلهم حسب سنته في الإضلال فلا يستطيع أحد غيره تعالى أن يهدي عبداً أضله الله على علم وهذا معنى قوله تعالى من سورة النحل ﴿إن الله لا يهدى من يضل﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال[1] عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم﴾ أي اذكر يا رسولنا للاتعاظ والعبرة قول عيسى بن مريم لليهود: يا بني اسرائيل نسبهم إلى جدهم يعقوب الملقب باسرائيل بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام. إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة وهذا برهان على صدقي في دعوتي إذ لم أخالف فيما أدعو إليه من عبادة الله وحده ما في التوراة كتاب الله عز وجل وهو بين أيديكم فوفاقنا دال على أن مصدر تشريعنا واحد هو الله عز وجل فكما آمنتم بموسى وهرون وداود وسليمان آمنوا بي فإني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه[2] احمد، فلهذا قال رسول الله ﷺ أنا دعوة[3] أبي إبراهيم وبشارة عيسى، إذ ابراهيم لما كان يبنى البيت مع اسماعيل كانا يتقاولان ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك..﴾ الآية.

وقوله تعالى ﴿فلما جاءهم﴾ أي محمد[4] ﷺ بالبينات أي بالحجج الدالة على صدق رسالته ووجوب اتباعه في العقيدة والشريعة كفروا به وقالوا في القرآن هذا سحر مبين كما قالها فرعون مع موسى. وكما قالتها اليهود مع عيسى عليه السلام.

---

(١) وجه مناسبة قصة عيسى لما قبلها أن بني اسرائيل كما فسقوا عن أمر الله وعصوا رسوله موسى فسقوا كذلك عن أمر الله وعصوا عيسى وكفروا فكان هذا تعزية لرسول الله ﷺ لما لقيه ويلقاه من اليهود.

(٢) هل الاسم هو عين المسمى؟ خلاف كبير والصحيح: أن الاسم هو اللفظ الدال على ذات به تتميز عن سائر الذوات.

(٣) رواه ابن اسحق بسند جيد ورواه أحمد بألفاظ مختلفة.

(٤) جائز أن يكون الضمير في جاءهم عائد إلى عيسى عليه السلام وعلى محمد ﷺ إذ كلاهما قيل فيه سحر أو ساحر قرأ الجمهور (سحراً) في الآيات وقرأ بعضهم: ساحر أي: محمد أو عيسى عليهما السلام.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان غنى الله تعالى عن خلقه وأنه سبح لله ما في السموات ومافي الأرض وأن ما شرعه لعباده من العبادات والشرائع إنما هو لفائدتهم وصالح أنفسهم يكملوا عليه أرواحاً واخلاقاً ويسعدوا به في الحياتين.

٢ـ حرمة الكذب وخلف الوعد إذ قول القائل أفعل كذا ولم يفعل كذِب وخلف وعدٍ. ولذا كان قوله من المقت الذي هو أشد البغض، ومن مقته الله فقد أبغضه أشدُّ البغض وكيف يفلح من مقته الله.

٣ـ فضيلة الجهاد والوحدة والاتفاق وحرمة الخلاف والقتال والصفوف ممزقة حسياً أو معنوياً.

٤ـ التحذير من مواصلة الذنب بعد الذنب فإنه يؤدى إلى الطبع وحرمان الهداية.

٥ـ بيان كفر اليهود بعيسى عليه السلام وازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد ﷺ.

٦ـ بيان كفر النصارى إذ رفضوا بشارة عيسى وردوها عليه ولم يؤمنوا بالمبشر به محمد ﷺ.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

شـرح الكلـمات :

ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب :أي لا أحد أعظم ظلماً ممن يكذب على الله فينسب إليه الولد والشريك، والقول والحكم وهو تعالى بريء من ذلك.

وهو يدعى إلى الإسلام : أي والحال أن هذا الذي يفترى الكذب على الله يدعى إلى الإسلام الذى هو الاستسلام والانقياد لحكم الله وشرعه.

والله لا يهدى القوم الظالمين : أي من ظَلم ثم ظلم وواصل الظلم يصبح الظلم طبعاً له فلا يصبح قابلاً للهداية فيحرمها حسب سنة الله تعالى في ذلك.

ليطفئوا نور الله بأفواههم	: أي يريد المشركون بكذبهم على الله وتشويه الدعوة الإسلامية، ومحاربتهم لاهلهايريدون إطفاء نور الله القرآن وما يحويه من نور وهداية بأفواههم وهذا محال فإنّ إطفاء نور الشمس أو القمر أيسر من إطفاء نور لا يريد الله إطفاءه.
هو الذي أرسل رسوله بالهدى	: أي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى أي بالهداية البشرية.
ودين الحق	: أي الإسلام إذ هو الدين الحق الثابت بالوحي الصادق.
ليظهره على الدين كله	: أي لينصره على سائر الأديان حتى لا يبقى إلا الإسلام ديناً.
ولو كره المشركون	: أي ولو كره نصره وظهوره على الأديان المشركون الكافرون.

معنى الآيات :

يقول تعالى ﴿ومن أظلم[1] ممن افترى على الله الكذب﴾ والحال أنه يدعى إلى الإسلام الدين الحق إنه لا أظلم من هذا الإنسان أبداً، إن ظلمه لا يقارن بظلم هذا معنى قوله تعالى في الآية الأولى (٧) ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب﴾. أي اختلق الكذب على الله عز وجل وقال له كذا وكذا أ وقال أو شرع كذا وهو لم يقل ولم يشرع. كما هي حال مشركي قريش نسبوا إليه الولد والشريك وحرموا السوائب والبحائر والحامات وقالوا في عبادة أصنامهم لو شاء الله ما عبدناهم إلى غير ذلك من الكذب والاختلاق على الله عز وجل. وقوله وهو يدعى إلى الإسلام إذ لو كان أيام الجاهلية حيث لا رسول ولا قرآن لهان الأمر أما أن يكذب على الله والنور غامر والوحي ينزل والرسول يدعو ويبين فالأمر أعظم والظلم أظلم.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٨) ﴿يريدون[2] ليطفئوا نور الله بأفواههم[3]﴾ أي يريد أولئك الكاذبون على الله القائلون في الرسول: ساحر وفي القرآن إنه سحر مبين إطفاء نور الله الذي هو القرآن وما حواه من عقائد الحق وشرائع الهدى وبأى شيء يريدون إطفاءه إنه بأفواههم وهل نور الله يطفأ بالأفواه كنور شمعة أو مصباح. إن نور الله متى أراد الله إتمامه إطفاء نور القمر أو الشمس أيسر من إطفائه فليعرفوا هذا وليكفوا عن محاولاتهم الفاشلة فإن الله يريد أن يتم[4] نوره ولو كره

(١) الاستفهام وإن كان للنفي فهو متضمن الإنكار الشديد على كل من المشركين وأهل الكتابين إذ الجميع افتروا على الله الكذب، فالمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، واليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: عيسى ابن الله.

(٢) استئناف بياني ناشيء عن الاخبار عنهم بأنهم افتروا على الله الكذب في الوقت الذي هم يدعون إلى الإسلام فلما فضحهم القرآن راموا اطفاء نور الله الذي هو كتابه ورسوله ودينه بأفواههم بالكذب والدعاوى الباطلة بل والحروب الشرسة القاسية.

(٣) اللام في (ليطفئوا) زائدة لتأكيد الكلام وتقويته إذ الأصل يريدون إطفاء نور الله.

(٤) (والله متم نوره) قرأ نافع بتنوين الميم من متمم ونصب نوره على المفعولية، وقرأ حفص بدون تنوين على أن متم مضاف إلى نور ونور مضاف إلى الضمير.

المشركون إنه تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق دين الله الحق الذي هو الإسلام ليظهره على الدين كله وذلك حين نزول عيسى إذ يبطل يومها كل دين ولم يبق الا الإسلام ولو كره ذلك المشركون فإن الله مظهره لا محالة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- عِظم جرم الكذب على الله وأنه من أفظع أنواع الظلم.
٢- حرمان الظلمة المتوغلين في الظلم من الهداية.
٣- إيئاس المحاولين إبطال الإسلام وانهاء وجوده بأنهم لا يقدرون إذ الله تعالى أراد إظهاره فهو ظاهر منصور لا محالة.
٤- تقرير نبّوة محمد ﷺ.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

هل أدلكم على تجارة : أي أرشدكم إلى تجارة رابحة.
تنجيكم من عذاب أليم : أي الربح فيها هو نجاتكم من عذاب مؤلم يتوقع لكم.
تؤمنون بالله ورسوله : أي تصدقون بالله ربّاً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً لله تعالى.

وتجاهدون في سبيل الله	: أي وتبذلون أموالكم وأرواحكم جهاداً في سبيل الله تعالى.
ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون	: أي الدخول في هذه الصفقة التجارية الرابحة خير لكم من تركها حرصاً على بقائكم وبقاء أموالكم مع أنه لا بقاء لشيء في هذه الدار.
يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن	أي هذا هو الربح الصافي مقابل ذلك الثمن الذاهب الزائل الذي هو المال والنفس مع أن الكل لله تعالى واهبكم أنفسكم وأموالكم.
ذلك الفوز العظيم	: أي النجاة من عذاب النار الأليم ثم دخول الجنة والظفر بما فيها من النعيم المقيم هو حقاً الفوز العظيم.
وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب	: أي وعلاوة أخرى تحبونها قطعاً إنها نصر من الله لكم ولدينكم وفتح قريب للأمصار والمدن، وما يتبع ذلك من رفعة وسعادة وهناء.
وبشر المؤمنين	: أي وبشر يا رسولنا المؤمنين الصادقين بذاك الفوز وهذه العلاوة.
كونوا أنصار الله	: أي لتنصروا دينه ونبيه وأولياءه.
كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله	: أي فكونوا أنتم أيها المؤمنون مثل الحواريين، والحواريون أصحاب عيسى وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً.
فآمنت طائفة من بنى اسرائيل	: أي بعيسى عليه السلام، وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء.
وكفرت طائفة	: أي من بني إسرائيل فقالوا إنه ابن الله رفعه إليه.
فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم	: فاقتتلت الطائفتان: فنصرنا وقوينا الذين آمنوا.
فأصبحوا ظاهرين	: أي غالبين عالين.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين[1] آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله هل لنا أن ندلكم على تجارة عظيمة الربح ثمرتها النجاة من عذاب أليم في

(١) هذا جواب ما سألوا عنه وطلبوا معرفته وهو: أحب الأعمال الى الله تعالى، والاستفهام مستعمل في العرض كما يقال: هل لك في كذا؟ أو هل لك إلى كذا؟ على سبيل العرض والترغيب والتشويق إلى ما يذكر له.

الدنيا والآخرة. وقوله ﴿تؤمنون[1] بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ هذا هو رأس المال الذي تقدمونه. إيمان بالله ورسوله حق الإيمان، جهاد في سبيل الله بالنفس والمال وأنبه إلى أن هذه الصفقة التجارية خير لكم من عدمها إن كنتم تعلمون ربحها وفائدتها.[2] ﴿يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ إنها النجاة من العذاب الدنيوي والأخروي أولاً، ثم مغفرة ذنوبكم وإدخالكم جنات تجري من تحتها الأنهار، أي من تحت قصورها وأشجارها، ومساكن طيبة في جنات عدن أي إقامة دائمة. ثانياً ثم زاد الحق في ترغيبهم فقال ﴿ ذلك الفوز العظيم﴾ إنه النجاة من النار، ودخول الجنة، فلا فوز أعظم منه قط هذا ولكم علاوة على ذلك الربح العظيم وهي ما أخبر تعالى عنها بقوله:[3] ﴿وأخرى تحبونها﴾ أي وفائدة أخرى تحبونها: نصر من الله أي لكم على أعدائكم ولدينكم على سائر الأديان وفتح قريب لمكة ولباقي المدن والقرى في الجزيرة وما وراءها. وقوله تعالى ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي وبشر[4] يا رسولنا الذين آمنوا بنا وبرسولنا وبوعدنا ووعيدنا بحصول ما ذكرناه كاملا، وقد تم لهم كاملاً ولله الحمد والمنة. وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ هذا نداء ثانٍ في هذا السياق الكريم ناداهم بعنوان الإيمان أيضاً إذ الإيمان هو الطاقة المحركة الدافعة فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار[5] الله﴾ أي التزموا بنصرة ربكم وإلهكم الحق في دينه ونبيه وأوليائه المؤمنين. قولوا كما قال الحواريون[6] لما دعاهم عيسى نبيهم لنصرته قائلاً من أنصارى إلى الله أي من ينصرني في حال كوني متوجهاً إلى الله انصر دينه وأولياءه، فأجابوه قائلين نحن أنصار الله. فكونوا أنتم أيها المسلمون مثلهم، وقد كانوا رضي الله عنهم كما طلب منهم.

---

(١) جملة: (تؤمنون) بيانية لأهل العرض السابق يثير سؤالاً وهو: ما الذي ريد أن يدلنا عليه؟ فالجواب: الايمان والجهاد. (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله..) الخ.

(٢) (يغفر لكم) بالجزم لأن الفعل واقع موقع جواب الطلب إذ: تؤمنون وتجاهدون لفظهما لفظ الخبر ومعناهما الإنشاء أي: آمنوا وجاهدوا يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم، وجزم (ويدخلكم) أيضاً على العطف على يغفر.

(٣) (وأخرى) الجملة معطوفة على (يغفر لكم)، وما بعدها وجيء بالجملة اسمية للدلالة على الثبوت والتحقق، فأخرى: مبتدأ خبره محذوف أي: وأخرى لكم أي ثابتة لكم وتحبون: صفة لأخرى.

(٤) لقد شوق الله أصحاب رسوله إلى تحقيق الإيمان بالجهاد فأيقنوا وعزموا على الجهاد فأصبح أسمى أمانيهم فأنجز الله لهم ما وعدهم فأمر رسوله أن يبشرهم بما وعدهم تعجيلاً للمسرة.

(٥) الأنصار: جمع نصير وهو الناصر: القوي النصرة، وقرأ نافع (كونوا أنصاراً لله) بتنوين (أنصاراً) وقرأ حفص بدون تنوين مضاف إلى اسم الجلالة.

(٦) الحواريون: جمع حواري بفتح الحاء وتخفيف الواو وهي معربة عن الحبشية (حوارياً) وهو الصاحب الصفي وأطلق هذا الاسم على أصحاب عيسى الاثنى عشر رجلا، وقد سمى النبي ﷺ الزبير بن العوام حواريه على التشبيه بأحد الحواريين فقال: (لكل نبي حواري وحواري الزبير).

وقوله تعالى ﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا﴾ أي فاقتتلوا فأيدنا أي قوينا ونصرنا الذين آمنوا وهم الذين قالوا عيسى عبدالله ورسوله رفعه ربه تعالى إلى السماء، على عدوهم وهم الطائفة الكافرة التى قالت عيسى ابن الله رفعه إليه تعالى الله أن يكون له ولد.

وقوله تعالى ﴿فأصبحوا ظاهرين[1]﴾ أي غالبين عالين إلى أن احتال اليهود على إفساد الدين الذي جاء به عيسى وهو الإسلام أي عبادة الله وحده بما شرع أن يعبد به فحينئذ لم يبق من المؤيدين إلا أنصار قليلون هنا وهناك وعلا الكفر والتثليث واستمر الوضع كذلك إلى أن بعث الله رسوله محمداً ﷺ فانضم الى الإسلام من انضم من النصارى فأصبحوا بالإسلام ظاهرين على عدوهم من المشركين المؤلهين لعيسى والحيارى في تقويمه مرة يقولون هو الله، ومرة يقولون: هو ابن الله، ومرة يقولون: ثالث ثلاثة هو الله. وضللهم وتركهم في هذه المتاهات الانتفاعيون من الرؤساء والجاهلون المقلدون من المرءوسين كما فعل نظراؤهم في الإسلام فحولوه الى طوائف وشيع إلا أن الإسلام تعهد الله بحفظه الى يوم القيامة فمن أراده وجده صافياً كما نزل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن لم يرده وأراد الضلالة وجدها في كل عصر ومصر.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- فضل الجهاد بالمال والنفس وأنه أعظم تجارة رابحة.

٢- تحقيق بشرى المؤمنين التى أمر الله رسوله أن يبشرهم بها فكان هذا برهاناً على صحة الإسلام وسلامة دعوته.

٣- بيان استجابة المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ لما طلب منهم من نصرة رسول الله ﷺ ودينه والمؤمنين معه. وهى نصرة الله تعالى المطلوبة.

(١) (ظاهرين) أي: غالبين يقال: ظهر عليه أي غلبه وهو مشتق من الظهر الذي هو العمود الوسط من جسد الإنسان والدواب، ومثل الظهور: التأييد مشتق من اليد وكذا عضده: إذا نصره وقواه مأخوذ من العضد.

سُورَةُ الجُمُعَةِ (١)

مدنيـة وآياتها احدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾

شـرح الكـلمات :

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض : أي ينـزه الله تعـالى عما لا يليق به ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات بلسان القال والحال، ولم يقل (من) بدل (ما) تغليباً لغير العاقل لكثرته علي العاقل.

في الأمـيين : أي العرب لندرة من كان يقرأ منهم ويكتب.

رسولاً منهـم : أي محمداً ﷺ إذ هو عربي قرشي هاشمي.

ويزكيـهم : أي يطهرهم أرواحاً واخلاقاً.

ويعلمهم الكتاب والحكمة : أي هدى الكتاب وأسرار هدايته.

وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين : أي وإن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال الشرك والجاهلية.

وآخرين منهم لما يلحقوا بهم : أي وآخـرين مؤمنين صالحين لمـا يلحقوا أي لم يحضروا حياة رسول الله ﷺ وهو يُعلّم الكتابَ والحكمة، وسيلحقون بهم وهم

---

(١) سورة الجمعة أي: السورة التي يذكر فيها لفظ الجمعة وهل المراد بالجمعة يوم الجمعة أو صلاة الجمعة الظاهر أن المراد بلفظ الجمعة: صلاة الجمعة، وجائز أن يكون المراد يوم الجمعة وقد نزلت الجمعة جملة واحدة سنة ست من الهجرة.

كل من لم يحضر حياة رسول الله ﷺ من العرب والعجم.

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء : أي كون الصحابة حازوا فضل السبق هذا فضل يؤتيه من يشاء فلا اعتراض ولكن الرضا وسؤال الله من فضله فإنه ذو فضل عظيم.

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ يخبر تعالى عن نفسه أنه يسبحه بمعنى ينزهه عن كل ما لايليق بجلاله وكماله من سائر مظاهر العجز والنقص ويقدسه كذلك وذلك بلسان الحال والقال وهذا كقوله من سورة الإسراء وان من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم. ومع هذا شرع لنا ذكره وتسبيحه وتعبدنا به، وجعله عونا لنا على تحمل المشاق واجتياز الصعاب فكم أرشد رسوله له في مثل قوله: سبح اسم ربك، وسبحه بكرة وأصيلا، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً. وواعد على لسانه رسوله بالجزاء العظيم على التسبيح في مثل قوله ﷺ «من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» ورغب فيه في مثل قوله: «كلمتان ثقيلتان في الميزان خفيفتان على اللسان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

وقـولـه ﴿الملك القـدوس﴾ أي المـالـك الحـاكم المتصرف في سائر خلقه لا حكم إلا له. ومرد الأمور كلها إليه المنزه عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله من سائر النقائص والحوادث.

وقوله تعالى ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أي كل خلقه ينزهه ويقدسه وهو العزيز الغالب على أمره الذي لا يُحال بينه وبين مراده الحكيم في صنعه وتدبيره لأوليائه وفي ملكه وملكوته. وقوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الاميين[1] رسولا منهم[2]﴾ أي بعث في الأمة العربية الأمية رسولا منهم هو محمد ﷺ إذ هو عربي قرشي هاشمي معروف النسب الي جده الأعلى عدنان من ولد اسماعيل بن إبراهيم الخليل.

وقوله: ﴿يتلو عليهم آياته﴾ أي آيات الله التى تضمنها كتابه القرآن الكريم وذلك لهدايتهم وإصلاحهم، وقوله ويزكيهم أي ويطهرهم أرواحاً وأخلاقاً وأجساماً من كل ما يدنس الجسم

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: الأميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لأنهم لم يكونوا أهل كتاب وكونه ﷺ أمياً ومن أمة أمية هو دليل معجزته وصدق نبوته.

(٢) (رسولاً منهم) قال ابن اسحق: ما من حي من أحياء العرب إلا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة وقد ولدوه إلا حي تغلب فإن الله تعالى طهّر نبيه ﷺ منهم لنصرانيتهم، فلم يجعل لهم عليه ولادة.

ويدنس النفس ويفسد الخلق. وقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة. أي يعلمهم الكتاب الكريم يعلمهم معانيه وما حواه من شرائع وأحكام، ويعلمهم[1] الحكمة في كل أمورهم والإصابة والسداد في كل شؤونهم، يفقههم في أسرار الشرع وحكمه في أحكامه. وقوله ﴿وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ أي والحال والشأن أنهم كانوا من قبل بعثته فيهم لفى ضلال مبين ضلال في العقائد ضلال في الآداب والاخلاق ضلال في الحكم والقضاء في السياسة، وادارة الأمور العامة والخاصة.

وقوله تعالى: وآخرين[2] منهم لما يلحقوا بهم أي وآخرين من العرب والعجم جاءوا من بعدهم وهم التابعون وتابعوا التابعين[3] الى يوم القيامة آمنوا وتعلموا الكتاب والحكمة التى ورثها رسول الله فيهم لما يلحقوا بهم في الفضل لأنهم فازوا بالسبق إلى الإيمان وبصحبة رسول الله ﷺ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد.

٢- تقرير النبوة المحمدية.

٣- بيان فضل الصحابة على غيرهم.

٤- شرف الإيمان والمتابعة للرسول وأصحابه رضي الله عنهم.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن

(١) قال مالك بن أنس: الحكمة الفقه في الدين.

(٢) روى مسلم عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فانزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً قال: وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء نعم فقد دخلت فارس في الإسلام بعد الفتح العمري وآمن رجال فوفوا وكانوا من أفاضل الرجال وصدق رسول الله ﷺ إلا أن الحزب الوطني الذي تكون في الظلام للانتقام من الإسلام فعل العجب في إفساد أمة الإسلام ومن ذلك ضرب الأمة بالمذهب الرافضي الذي فرق المسلمين ودمرهم أيما تدمير.

(٣) من العرب وغيرهم من سائر العجم كبعض الفرس والروم والبربر والسودان والترك والمغول والأكراد والصين والهنود وغيرهم وفي هذا معجزة قرآنية إذ صدق قوله (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) وقد لحقوا فآمنوا وتعلموا وزكوا.

دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

حملوا التوراة : أي كلفوا بالعمل بها عقائد وعبادات وقضاء وآداباً وأخلاقاً

ثم لم يحملوها : أي لم يعملوا بما فيها، ومن ذلك نعته ﷺ والأمر بالإيمان فجحدوا نعته وحرفوه ولم يؤمنوا به وحاربوه.

بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله : أي المصدقة للنبي محمد ﷺ هذا المثل الذي ضربه الله لليهود هو كمثل الحمار يحمل أسفاراً أي كتباً من العلم وهو لا يدرى ما فيها.

قل يا أيها الذين هادوا : أي اليهود المتدينون باليهودية.

إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس : أي وأنكم أبناء الله وأحباؤه وأن الجنة خاصة بكم.

فتمنوا الموت إن كنتم صادقين : أي ان كنتم صادقين في أنكم أولياء الله فتمنوا الموت مؤثرين الأخرة على الدنيا ومبدأ الآخرة الموت فتمنوه إذاً.

بما قدمت أيديهم : أي بسبب ما قدموه من الكفر والتكذيب بالنبي ﷺ لا يتمنون.

والله عليم بالظالمين : أي المشركين ولازم علمه بهم أنه يجزيهم بظلمهم العذاب الأليم.

تفرون منه : أي لأنكم لا تتمنونه أبداً وذلك عين الفرار منه.

فإنه ملاقيكم : أي حيثما اتجهتم فإنه ملاقيكم وجهاً لوجه.

ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة : أي الى الله تعالى يوم القيامة.

معنى الآيـات :

قوله تعالى : ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ أي كلفوا بالعمل بها من اليهود والنصارى ثم لم يحملوها أي ثم لم يعملوا بما فيها من أحكام وشرائع ومن ذلك جحدهم لنعوت النبي محمد ﷺ والأمر بالإيمان به واتباعه عند ظهوره. وقوله تعالى : ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾[1] أي كمثل حمار يحمل على ظهره أسفاراً من كتب العلم النافع وهو لا يعقل ما يحمل ولا يدرى ماذا على ظهره من الخير، وذلك لأنه لا يقرأ ولا يفهم.[2] وقوله تعالى ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ أي المصدقة للنبي محمد ﷺ هذا المثل الذي ضربه تعالى لأهل الكتاب من يهود ونصارى. وقوله والله لا يهدى القوم الظالمين، ولهذا ما هداهم إلى الإسلام. لتوغلهم في الظلم والكفر والشر والفساد لم يكونوا أهلاً لهداية الله تعالى.

وقوله تعالى : ﴿قل ياأيها الذين هادوا﴾ أي قل يارسولنا يا أيها الذين هادوا أي يا من هم يدَّعون أنهم على الملة اليهودية، إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس حيث ادعيتم انكم أبناء الله وأحباؤه، وأن الجنة لكم دون غيركم الى غير ذلك من دعاويكم فتمنوا الموت[3] إن كنتم صادقين في دعاويكم إذ الموت طريق الدار الآخرة فتمنوه لتموتوا فتستريحوا من كروب الدنيا وأتعابها.

وقوله تعالى : ﴿ولا يتمنونه أبداً﴾ أخبر تعالى وهو العليم أنهم لا يتمنونه في يوم من الأيام أبداً، وبيّن تعالى علة ذلك بقوله : بما قدمت أيديهم من الذنوب والآثام الموجبة للعذاب. وقوله ﴿والله عليم بالظالمين﴾ أي من أمثال هؤلاء اليهود وسيجزيهم بظلمهم عذاب الجحيم. وقوله تعالى : ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه﴾[4] أي قل لهم يارسولنا إن الموت الذي تفرون منه ولا تتمنونه فراراً وخوفاً

---

(١) قال بعض أهل العلم : أبطل الله ادعاء اليهود في ثلاث آيات من هذه السورة افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم بقوله : (فتمنوا الموت) وبأنهم أهل كتاب فشبههم بالحمار يحمل أسفاراً، وبالسبت فشرع الله للمسلمين الجمعة فلم يبق لهم ما يفخرون به على المسلمين.

(٢) أنشد بعضهم عائباً بعض من يحمل رواية الحديث وهو لا يفهم المراد منها :

إن الرواة على جهل بما حملوا   مثل الجمال عليها يحمل الودع

لا الودع ينفعه حمل الجمال له   ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

الودع والواحدة ودعة مناقيف صغار تخرج من قاع البحر.

(٣) الأمر في قوله تعالى : (فتمنوا الموت) للتعجيز فلذا لم يفعلوا ولو فعلوا لما بقيت فيهم عين تطرف، لأنهم كاذبون.

(٤) جملة ﴿الذي تفرون منه﴾ صفة للموت، وفيه إشارة إلى خطإهم في الهلع والخوف من الموت ولا تعارض بين هذه الأية وهي تدعو إلى تمني الموت، وبين النهي عنه في الحديث الصحيح : (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به) لأن طلب التمني من اليهود كان لتحديهم، والنهي عن تمني الموت كان بسبب الجزع من الضر حيث يجب الصبر لما في المرض من تكفير الذنوب، وفي الحديث: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) وهذا الحديث يفسِّر ما تقدم فإن العبد الصالح إذا كان في سياقات الموت يحب الموت للقاء الله تعالى، والعبد غير الصالح يكره لقاء الله كراهية اليهود لما يعلم من ذنوبه وعظيم آثامه فهو يخاف الموت لذلك.

منه فإنه ملاقيكم[1] لا محالة حيثما كنتم سوف يواجهكم وجهاً لوجه ثم تُردون إلى عالم الغيب والشهادة وهو الله تعالى الذي يعلم ما غاب في السماء والأرض، ويعلم ما يسر عباده، وما يعلنون وما يظهرون وما يخفون فينبئكم بما كنتم تعملون ويجزيكم الجزاء العادل إنه عليم حكيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ ذم من يحفظ كتاب الله ولم يعمل بما فيه.

٢ـ التنديد بالظلم والظالمين.

٣ـ بيان كذِب اليهود وتدجيلهم في أنهم أولياء الله وأن الجنة خالصة لهم.

٤ـ بيان أن ذوى الجرائم أكثر الناس خوفاً من الموت وفراراً منه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١)

شرح الكلمات:

إذا نودي للصلاة : أي إذا أذن المؤذن لها عند جلوس الإمام على المنبر.

من يوم الجمعة : أي في يوم الجمعة وذلك بعد الزوال.

فاسعوا الى ذكر الله : أي امضوا الى الصلاة.

وذروا البيع : أي اتركوه، وإذا لم يكن بيع لم يكن شراء.

---

(١) من أحسن ما قيل في الوعظ بالموت قول طرفة:

وكفى بالموت فاعلم واعظاً ... لمن الموت عليه قد قدر
فاذكر الموت وحاذر تركه ... إن في الموت لذي اللب عبر
كل شيء سوف يلقى حتفه ... في مقام أو على ظهر سفر
والمنايا حوله ترصده ... ليس ينجيه من الموت حذر

وقال زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلّم

وابتغوا من فضل الله	: أي اطلبوا الرزق من الله تعالى بالسعى والعمل.
تفلحـون	: أي تنجون من النار وتدخلون الجنة.
انفضـوا إليها	: أي إلى التجارة.
وتركوك قائماً	: أي على المنبر تخطب يوم الجمعة.
ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة	: أي ما عند الله من الثواب في الدار الآخرة خير من اللهو ومن التجارة.
والله خير الرازقين	: أي فاطلبوا الرزق منه بطاعة واتباع هداه.

معنى الآيـات

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله ﴿إذا نودى[1] للصلاة من يوم الجمعـة[2]﴾ أي إذا أذن المؤذن بعـد زوال يوم الجمعة وجلس الإمام على المنبر ﴿فاسعوا[3] إلى ذكر الله[4]﴾ أي امضوا إلى ذكر الله الذي هو الصلاة والخطبة إذ بهما يُذكر الله تعالى. وقوله ﴿وذروا البيع[5]﴾ إذ هو الغالب من أعمال الناس، وإلا فسائر الأعمال يجب إيقافها والمضيّ إلى الصلاة.

وقوله ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أي ترك الأعمال من بيع وشراء وغيرها والمضيّ إلى أداء صلاة الجمعة وسماع الخطبة خير ثوابا وعاقبة.

وقوله تعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أي أديت وفرغ منها فانتشروا في الأرض أي لكم بعد انقضاء الصلاة أن تتفرقوا حيث شئتم في أعمال الدين والدنيا. تبتغون من فضل الله، ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ أي أثناء تفرقكم وانتشاركم في أعمالكم اذكروا الله ولا تنسوه واذكروه ذكراً كثيراً لعلكم تفلحون أي رجاء فلاحكم وفوزكم في دنياكم وآخرتكم.

---

(١) المراد من النداء: الأذان الذي يكون فيه الإمام على المنبر إذ كان الأذان واحداً حتى زاد عثمان رضي الله عنه ثانياً حين كثر الناس بالمدينة.

(٢) لفظ الجمعة: بضم كل من الجيم والميم، وبتسكين الميم، والجمع: جمع كغرفة وغرف وجمعات كغرفات وكان يومها يسمى العروبة بفتح العين وقيل أول من سماها الجمعة كعب بن لؤي وقيل: الأنصار، وأول جمعة صليت في الإسلام هي الجمعة التي جمع فيها أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير أهل المدينة وصلوها وكانوا اثنى عشر رجلا: وأول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمدينة هي جمعته في بني سالم بن عوف وهو في طريقه من قباء إلى المدينة، وأول جمعة بعدها كانت بجوائي: قرية من قرى البحرين.

(٣) ليس المراد بالسعي الجري واشتداد العدو وإنما هو المشي والمضي لحديث الصحيح: (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن أئتوها وعليكم السكينة) ومن إطلاق السعي والمراد المضي والعمل لا غير قول الشاعر:

أسعى على جل بني مالك كل امرىء في شأنه ساعي

وفي القرآن: (من أراد الآخرة وسعى لها سعيها).

(٤) ذكر الله: الصلاة والخطبة قبلها.

(٥) لا خلاف في حرمة البيع والشراء عند الأذان الثاني.

وقوله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾ هذه الآية نزلت في شأن قافلة زيت كان صاحبها دحية بن خليفة الكلبي الأنصاري رضى الله عنه قدمت من الشام، وكان عادة أهل المدينة إذا جاءت قافلة تجارية تحمل الميرة يستقبلونها بشيء من اللهو كضرب الطبول والمزامير. وصادف قدوم القافلة يوم الجمعة والناس في المسجد، فلما انقضت الصلاة وطلع رسول الله ﷺ على المنبر يخطب، وكانت الخطبة بعد الصلاة لا قبلها كما هي بعد ذلك فخرج الناس يتسللون حتى لم يبق مع الرسول ﷺ الا اثنا عشر رجلاً وامرأة فنزلت هذه الآية تعيب عليهم خروجهم وتركهم نبيهم يخطب. فقال تعالى في صورة عتاب شديد ﴿وإذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا اليها﴾ أي خرجوا إليها ﴿وتركوك﴾ يا رسولنا قائما على المنبر تخطب. وقوله تعالى: ﴿قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة﴾ أي أعلمهم يا نبينا أن ما عند الله من ثواب الآخرة خير من اللهو والتجارة التي خرجتم إليها، ﴿والله خير الرازقين﴾ فاطلبوا الرزق منه بطاعته وطاعة رسوله ولا يتكرر منكم مثل هذا الصنيع الشين. وإلا فقد تتعرضون لعذاب عاجل غير آجل.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب صلاة الجمعة ووجوب[1] المضى اليها عند النداء الثاني الذي يكون والامام على المنبر.

٢- حرمة البيع والشراء وسائر العقود إذا شرع المؤذن يؤذن الاذان الثاني.

٣- الترغيب في ذكر الله والإكثار منه والمرء يبيع ويشترى ويعمل ويصنع ولسانه ذاكر.

٤- ينبغي أن لا يقل المصلون الذين تصح صلاة الجمعة بهم عن اثنى عشر رجلاً أخذاً من حادثة انفضاض الناس عن الرسول ﷺ وهو يخطب الى القافلة حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً.

---

(١) ورد في فضل الجمعة والغسل لها قوله ﷺ (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه) وقوله: (الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما ما لم تغش الكبائر) (مسلم) وقوله: (غسل الجمعة واجب على كل محتلم) (في الصحيح).

سورة المنافقون

مدنيـة وآياتها إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)

شرح الكلمات :

إذا جاءك المنافقون : أي حضر مجلسك المنافقون كعبدالله بن أبي وأصحابه.

قالوا نشهد إنك لرسول الله : أي قالوا بألسنتهم ذلك وقلوبهم على خلافه.

والله يشهد إنَّ المنافقين لكاذبون : أي والله يعلم أن المنافقين لكاذبون أي بما أضمروه من أنك غير رسول الله.

اتخذوا ايمانهم جنة : أي سترة ستروا بها أموالهم وحقنوا بها دماءهم.

فصدوا عن سبيل الله : أي فصدوا بها عن سبيل الله أي الجهاد فيهم.

إنهم ساء ما كانوا يعملون : أي قبح ما كانوا يعملونه من النفاق.

ذلـك : أي سـوء عملهـم.

بأنهم آمنوا ثم كفروا : أي آمنوا بألسنتهم، ثم كفروا بقلوبهم أي استمروا على ذلك.

فطبع على قلوبهم : أي ختم عليها بالكفر.

فهم لا يفقهون	: أي الإيمان أي لا يعرفون معناه ولا صحته.
تعجبك أجسامهم	: أي لجمالها إذ كان ابن أبي جسيما صحيحاً وصبيحاً ذلق اللسان.
وإن يقولوا تسمع لقولهم	: أي لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم.
كأنهم خشب مسندة	: أي كأنهم من عظم أجسامهم وترك التفهم وعدم الفهم خشب مسندة أي أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام.
يحسبون كل صيحة عليهم	: أي يظنون كل صوت عال يسمعونه كنداء في عسكر أو إنشاد ضالة عليهم وذلك لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم.
هم العدو فاحذرهم	: أي العدو التام العداوة فاحذرهم أن يفشوا سرك أو يريدوك بسوء.
قاتلهم الله أنى يؤفكون	: أي لعنهم الله كيف يصرفون عن الإيمان وهم يشاهدون أنواره وبراهينه.

معنى الآيات

قوله تعالى ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ لنزول هذه السورة سبب هو أن زيد[1] بن أرقم رضي الله عنه قال كنت مع عمي فسمعت عبدالله بن أبيٍّ بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأرسل رسولاً إلى ابن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني فأصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل إذا جاءك المنافقون الى قوله الأعز منها الأذل فأرسل الى رسول الله ﷺ ثم قال إن الله قد صدقك.

قوله إذا جاءك المنافقون أي إذا حضر مجلسك المنافقون عبدالله بن أبي ورفاقه قالوا نشهد إنك لرسول الله وذلك بألسنتهم دون قلوبهم. قال تعالى: ﴿والله يعلم[2] إنك لرسوله﴾ سواء شهد بذلك المنافقون أو لم يشهدوا. والله يشهد إنَّ المنافقين لكاذبون في شهادتهم لعدم مطابقة قولهم لاعتقادهم. اتخذوا أيمانهم جنة أي جعلوا من أيمانهم الكاذبة جنة كجنة المقاتل يسترون

---

(١) رواه البخاري في صحيحه والترمذي وغيرهما كانت هذه الحادثة في غزوة بني المصطلق سنة خمس من الهجرة.

(٢) جملة معترضة بين الجملتين المتعاطفتين وفائدة هذا الاعتراض دفع ما قد يتوهمه من يسمع جمله: (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) أنه تكذيب لجملة (إنك لرسول الله).

بها كما يستتر المحارب بجنته فوق رأسه، فهم بأيمانهم الكاذبة أنهم مؤمنون وقوا بها أنفسهم وأزواجهم وذرياتهم من القتل والسبي، وبذلك صدوا عن سبيل الله[1] أنفسهم وصدوا غيرهم ممن يقتدون بهم وصدوا المؤمنين عن جهادهم بما أظهروه من إيمان صوري كاذب. قال تعالى: ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾[2] يذم تعالى حالهم ويقبح سلوكهم ذلك وهو اتخاذ أيمانهم جنة وصدهم عن سبيل الله وقوله تعالى الآية رقم ٣ ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع[3] على قلوبهم﴾ أي سوء عملهم وقبح سلوكهم ناتج عن كونهم آمنوا ثم شكوا أو ارتابوا فنافقوا وترتب على ذلك أيضاً الطبع على قلوبهم فهم لذلك لا يفقهون معنى الايمان ولا صحته من بطلانه وهذا شأن من توغل في الكفر أن يختم على قلبه فلا يجد الإيمان طريقاً الى قلب قد أقفل عليه بطابع الكفر وخاتم النفاق والشك والشرك.

وقوله تعالى في الآية (٤) ﴿وإذا رأيتهم تعجبك[4] أجسامهم﴾ أي وإذا رأيت يا رسولنا هؤلاء المنافقين ونظرت إليهم تعجبك أجسامهم لجمالها إذ كان ابن أبي جسيما صبيحاً وإن يقولوا تسمع لقولهم وذلك لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم. وقوله تعالى: ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ وهو تشبيه رائع: انهم لطول أجسامهم وجمالها وعدم فهمهم وقلة الخير فيهم كأنهم خشب مسندة على جدار لا تشفع ولا تنفع كما يقال.

وقوله تعالى: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ وذلك لخوفهم والرعب المتمكن من نفوسهم نتيجة ما يضمرون من كفر وعداء وبغض للإسلام وأهله فهم إذا سمعوا صيحة في معسكر أو صوت منشد ضاله يتوقعون أنهم معنيون بذلك شأن الخائن وأكثر ما يخافون أن ينزل القرآن بفضيحتهم وهتك أستارهم. قال تعالى هم[5] العدو فاحذرهم يارسولنا إن قلوبهم مع أعدائك فهم يتربصون بك الدوائر.

قال تعالى: ﴿قاتلهم الله أني يؤفكون﴾ فسجل عليهم لعنة لا تفارقهم إلى يوم القيامة كيف يصرفون عن الحق وأنواره تغمرهم القرآن ينزل والرسول يعلم ويزكى وآثار ذلك في المؤمنين

(١) الفاء للتفريع فجملة (فصدوا عن سبيل الله) متفرعة عن جملة (اتخذوا أيمانهم جنة).
(٢) الجملة تذييلية من أجل تفظيع حالهم، والتنديد بسوء سلوكهم.
(٣) الإشارة إلى قوله: (إنهم ساء ما كانوا يعملون).
(٤) هذه الجملة معطوفة على سابقتها وهي (فهم لا يفقهون) وهي واقعة موقع الاحتراس والتتميم لدفع إيهام من يغره ظاهر صورهم وأشكالهم كما في قول حسان رضي الله عنه. :

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ   جسم البغال وأحلام العصافير

(٥) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً إذ قوله تعالى: (يحسبون كل صيحة عليهم) يثير تساؤلات فأجيب السائل المتطلع بقوله تعالى: (هم العدو فاحذرهم) ونفسيتهم المريضة هي التي جعلتهم يحسبون كل صيحة عليهم كما قال المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدّق ما يعتاده من توهم

ظاهرة في آرائهم وأخلاقهم. ولم يشاهدوا شيئاً من ذلك والعياذ بالله من عمى القلوب وانطماس البصائر.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١- بيان أن الكذب ما خالف الاعتقاد وإن طابق الواقع.

٢- التحذير من الاستمرار على المعصية فإنه يوجب الطبع على القلب ويُحرم صاحبه الهداية.

٣- التحذير من الاغترار بالمظاهر كحسن الهندام وفصاحة اللسان.

٤- الكشف عن نفسية الخائن والظالم والمجرم وهو الخوف والتخوف من كل صوت أو كلمة خشية أن يكون ذلك بيانا لحالهم وكشفاً لجرائمهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

شـرح الكلمـات :

وإذا قيل لهم تعالوا	: أي معتذرين.
لووا رؤوسهم	: أي رفضوا الاعتذار الى رسول الله ﷺ.
ورأيتهم يصدون	: أي يعرضون عما دعوا إليه وهم مستكبرون.

سواء عليهم استغفرت لهم : أي يارسـولنا.

أم لم تستغفر لهم :

لن يغفر الله لهم : أي إيأس من مغفرة الله لهم.

إن الله لا يهدى القوم الفاسقين : أي لأن من سنة الله انه لا يهدى القوم الفاسقين المتوغلين في الفسق عن طاعة الرب تعالى وهم كذلك.

يقولـون : أي لأهـل المدينة.

لا تنفقوا على من عند رسول الله : أي من المهاجـرين.

حتى ينفضوا : أي يتفرقـوا عنه.

لئن رجعنا إلى المدينة : أي من غزوة كانوا فيها هى غزوة بنى المصطلق.

ليخرجن الاعز منها الأذل : يعنون بالأعز أنفسهم، وبالأذل المؤمنين.

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين : أي الغلبة والعلو والظهور.

معنى الآيـات

ما زال السياق الكريم في الحديث عن المنافقين فقوله تعالى في الآية (٥) ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ وذلك عندما قال ابن أُبى ما قال من كلمات خبيثة منها قوله فى المهاجرين: سمن كلبك يأكلك. وقوله لصاحبه: لا تنفقوا على المهاجرين حتى يتفرقوا عن محمد ﷺ، وقوله مهدداً لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز يعنى نفسه ورفاقه المنافقين الأذل يعنى الأنصار والمهاجرين. فلما قال هذا كله وأكثره في غزوة بنى[1] المصطلق وأخبر به رسول الله ﷺ فجاء فحلف بالله ما قال شيئاً من ذلك أبداً وذهب فنزلت هذه السورة الكريمة تكذبه. ولما نزلت هذه السورة بفضيحته جاءه من قال له: يا أبا الحباب «كنية ابن أبي» إنه قد نزل فيك آى شِداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه أي عطفه إلى جهة غير جهة من يخاطبه وقال: أمرتموني أن أؤمن فآمنت وأُمرتمونى أن أعطى زكاة مالى فأعطيت فما بقى إلا أن أسجد لمحمد ﷺ فنزلت هذه الآيات الثلاث وإذا قيل لهم تعالوا أي معتذرين يستغفر لكم رسول الله. لووا رؤوسهم أي رفضوا العرض ورأيتهم يصدون عنك وهم مستكبرون والمراد بهم ابن أبي عليه لعائن الله قال تعالى لرسوله: سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فأيأس رسوله من المغفرة لهم، وعلل تعالى ذلك بقوله: إن الله لا يهدى القوم الفاسقين[2]

(١) سبب نزول هذه السورة والآيات منها أن النبي ﷺ (غزا بني المصطلق على ماء يقال له (المريسيع) من ناحية قديد إلى الساحل فازدحم أجير لعمر يقال له: جهجاه مع حليف لابن أبي يقال له: سنان على ماء بالمشلل فصرخ جهجاه بالمهاجرين وصرخ سنان بالأنصار فجاء ابن أبي وقال كلماته الخبيثة التي هي في التفسير. ونزلت السورة.

(٢) وهم كل من سبق في علم الله أنه لا يتوب لما أحاط به من الذنوب.

وابن أبي من أكثر الفاسقين فسقاً! إذ جمع بين الكذب والحلف الكاذب والنفاق والشقاق والعداء والكبر والكفر الباطني وذكر تعالى قولات هذا المنافق واحدة بعد واحدة فقال هم الذين يقولون : لا تنفقوا على من عند رسول الله أي قال لإخوانه لا تنفقوا على المهاجرين حتى يتفرقوا عن رسول الله ﷺ فقرعه رب العزة وأدبه ببيان فساد ذوقه ورأيه فقال تعالى : ﴿ولله خزائن[1] السموات والأرض﴾ فجميع الأرزاق بيده وهو الذي يرزق من يشاء والمنافق نفسه رزقه على الله فكيف يدعى انه إذا لم ينفق على من عند رسول الله يجوعون فيتفرقون يطلبون الرزق بعيداً عن محمد ﷺ. ولكن المنافقين لعماهم وظلمة نفوسهم ومرض قلوبهم لا يفقهون هذا ولا يفهمونه، ولذا قال رئيسهم كلمته الخبيثة. تلك كانت القولة الأولى. والثانية هي قوله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قالها في غزوة بني المصطلق وهي غزوة سببها أن رسول الله ﷺ أُعلم أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار وهو أبوجويريه زوج رسول الله ﷺ إحدى أمهات المؤمنين. فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فوقع القتال فهزم الله بنى المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم وأفاءها على المؤمنين، واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه جويرية بوصفها بنت سيد القوم إكراماً لها ثم عتقها وتزوجها فرأى المؤمنون أن ما بأيديهم من السبي لا ينبغى لهم وقد أصبحوا أصهار نبيهم فعتقوا كل ما بأيديهم فقالت عائشة رضى الله عنها ما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية بنت الحارث فقد أُعتق بتزويج رسول الله لها مائة أهل بيت من بنى المصطلق.

في هذه الغزاة قال ابن أبي قولته الخبيثة وذلك أن رجلين[2] انصارياً ومهاجراً تلاحيا على الماء[3] فكسع[4] المهاجر الانصارى برجله فصاح ابن أبي قائلا عليكم صاحبكم، ثم قال : والله ما مثلنا ومحمد إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وغاب عن ذهن هذا المنافق أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين أي الغلبة والظهور والعلو لا للمنافقين والمشركين الكافرين ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك ولا غيره لعمى بصائرهم ولما

---

(١) (الخزائن) جمع خزانة وهي البيت الذي يخزن فيه الطعام. روى الترمذي أن عمر رضي الله عنه قال للرسول ﷺ إشفاقاً عليه ورحمة به : ما كلفك الله يا رسول الله مالا تقدر عليه، عندما قال لرجل سأله عطاء ابتع علي فإذا جاء شيء قضيته فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا فتبسم رسول الله ﷺ وعرف في وجهه البشر وقال : بهذا أمرت).

(٢) تقدم ذكر اسميهما وهما : جهجاه، وسنان.

(٣) تقدم أن هذا الماء كان بالمشلل.

(٤) كسعه : ضربه في دبره.

بلغ الغزاة المدينة وقف عبدالله بن عبدالله بن أبي في عرض الطريق واستل سيفه فلما جاء أبوه يمر قال له والله لا تمر حتى تقول: محمد الأعز وأنا الأذل، فلم يبرح حتى قالها: وكان ولده مؤمناً صادقاً من خيرة الأنصار.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ لا ينفع الاستغفار للكافر ولا الصلاة عليه بحال.

٢ـ ذمّ الإعراض والاستكبار عن التوبة والاستغفار. فمن قيل له استغفر الله فليستغفر ولا يتكبر بل عليه أن يقول: استغفر الله أو اللهم اغفر لي.

٣ـ مصادر الرزق كلها بيد الله تعالى فليطلب الرزق بطاعة الله ورسوله لا بمعصيتهما.

٤ـ العزة الحقة لله ولرسوله وللمؤمنين، فلذا يجب على المؤمن أن لا يذل ولا يهون لكافر.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾

شـرح الكلمات :

لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم : أي لا تشغلكم.

عن ذكر الله : كالصلاة والحج وقراءة القرآن وذكر الله بالقلب واللسان.

ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون: أي ومن ألهته أمواله وأولاده عن أداء الفرائض فترك الصلاة أو الحج وغيرهما من الفرائض فقد خسر ثواب الآخرة.

وأنفقوا مما رزقكم الله : أي النفقة الواجبة كالزكاة وفي الجهاد والمستحبة.

لولا أخرتني : أي هلا أخرتني يطلب التأخير ولا يقبل منه.
فأصّدق وأكن من الصالحين : أي حتى أزكى وأحج وأكثر من النوافل والأعمال الصالحة.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾[1] نادى تعالى المؤمنين لينصح لهم أن لا تكون حالهم كحال المنافقين الذين تقدم في السياق تأديبهم فقال لهم يا من آمنتم بالله ورسوله : لا تلهكم[2] أموالكم ولا أولادكم أي لا تشغلكم عن[3] ذكر الله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه والإكثار من طاعته والتقرب إليه بأنواع القرب. ثم خوفهم نصحاً لهم بقوله : ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي بأن ألهته أمواله وأولاده عن عبادة الله فأولئك البعداء هم الخاسرون يوم القيامة بحرمانهم من الجنة ونعيمها ووجودهم في دار العـذاب لا أهل لهم فيها ولا ولد. وبالغ عز وجل في إرشادهم فقال: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾[4] مبادرين الأجل فإنكم لا تدرون متى تموتون. من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول متمنياً طالباً حاثاً في طلبه: ربّ أي يارب لولا أخرتني إلى أجل قريب أي إلى وقت قريب من هذا فأصدق[5] بمالي، وأكن من الصالحين فأحج وأتقرب إليك يارب بما تحب من أنواع القربات والطاعات ولكن لا ينفعه التمنى ولا الطلب والدعاء، لأن حكم الله الأزلي أنه تعالى لن يؤخر نفساً[6] أي نفس إذا جاء أجلها أي إذا حضر وقت وفاتها وقوله تعالى : ﴿والله خبير بما تعملون﴾ يحض المؤمنين على إصلاح أعمالهم والتزود لآخرتهم بإعلامهم بأنه مطلع على أعمالهم خبير بها.

---

(١) قد تكون المناسبة بين هذه الآية وما سبقها هي قول المنافقين : (لا تنفقوا على من عند رسول الله) فحذر تعالى المؤمنين من التأثر بالنظرية المادية التي يحملها ابن أبيّ وصرخ بها، ودعاهم إلى الإنفاق في سبيل الله قبل فوات الأوان بالموت أو الفقر وقلة ما ينفقون.

(٢) (لا) هي النافية اشربت معنى النهي فجزمت المضارع وفي الآية دليل على أن ما لا يشغل عن ذكر الله من مال وولد لا إثم فيه.

(٣) ذكر الله هنا مستعمل في الحقيقة والكناية فيشمل الذكر باللسان وهو فعل سائر الطاعات، والذكر بالقلب: وهو التذكر الموجب للطاعة.

(٤) قال القرطبي: في الآية دليل على وجوب تعجيل أداء الزكاة ولا يجوز تأخيرها أصلا وكذلك سائر العبادات إذا تعيّن وقتها. وهو كما قال رحمه الله تعالى.

(٥) المضارع منصوب بأن المضمرة بعد فاء السببية الواقعة في جواب الطلب، وجزم (أكن) لأنه في جواب الطلب مباشرة فلم تسبقه الفاء حتى يتعين نصبه بأن المضمرة.

(٦) (نفساً) نكرة في سياق النفي وهو (ولن يؤخر) تعم كل نفس، والمراد من النفس الروح وقيل فيها: نفس أخذاً من النفس وهو الهواء الذي يخرج من الأنف والفم من كل حيوان ذي رئة وسميت روحاً أخذاً من الروح بفتح الراء لأن الروح به، والروح: الراحة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ حرمة التشاغل بالمال والولد مع تضييع بعض الفرائض والواجبات.

٢ـ حرمة تأخير الحج مع القدرة على أدائه تسويفاً وتماطلاً مع الإيمان بفرضيته.

٣ـ وجوب الزكاة والترغيب في الصدقات الخاصة كصدقة الجهاد والعامة على الفقراء والمساكين.

٤ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مكية الا آخرها فمدني وآياتها ثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

يسبح لله : أي ينزه الله ويقدسه عن كل مالا يليق بجلاله وكماله.

ما في السموات وما في الأرض : أي من سائر المخلوقات بلسان الحال والقال.

له الملك وله الحمد : أي له دون غيره الملك الدائم الحق وله الحمد العام.

وهو على كل شيء قدير : أي هو ذو قدرة كاملة على فعل ما أراد و يريد.

فمنكم كافر ومنكم مؤمن : أي فبعضكم مؤمن موقن بربه ولقائه وبعضكم كافر جاحد دُهرى، والواقع شاهد.

وصوركم فأحسن صوركم : أي صوركم في الأرحام فأحسن صوركم.

وإليه المصير : أي المرجع يوم القيامة.

والله عليم بذات الصدور : أي بما في الصدور من الضمائر والسرائر.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يسبح لله ما في[1] السماوات وما في الأرض﴾ يخبر تعالى معلماً عباده بربوبيته الموجبة لعبادته وطاعته وطاعة رسوله بأنه يسبحه جميع خلائقه في الملكوت الأعلى والأسفل وقوله ﴿له[2] الملك وله الحمد﴾ أي أنه له الملك وهو الملك الحق وأنه له الحمد وهو الثناء الجميل ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ أي وأنه على فعل كل شيء قدير لا يعجزه شيء ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ أي وأنه خالق الكل فمن عباده المؤمن به ومنهم الكافر كما هو الواقع. وأنه بما يعمل عباده من خير أو شر من حسنات أو سيئات خبير أي مطلع وسيجزى الكل بأعمالهم حسنها وسيئها، وأنه خلق السموات والأرض[3] بالحق لا للهو ولا اللعب ولا للعبث بل بالحق وهو أن يذكر ويشكر من عباده وأنه صور العباد في الأرحام فأحسن صورهم وجملها، فهي أجمل المخلوقات الأرضية على الإطلاق، وانه إليه لا إلى غيره المرجع يوم القيامة فيحاسب ويجزى وهو الحكم العدل العزيز الحكيم. وانه تعالى يعلم ما في السموات والأرض من سائر المخلوقات والحوادث والأحداث، وانه يعلم ما يُسر عباده من أعمال وأقوال ونيات، وما يعلنون من ذلك. وأنه عليم بذات الصدور أي ما فيها من أسرار وخواطر ونيات وارادات.

أخبر[4] عباده بهذا ليؤمنوا به ويعبدوه دون غيره فيكملون ويسعدون بعبادته فله الحمد وله المنة وهو الرحمن الرحيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تعليم الله تعالى عباده وتعريفهم بجلاله وكماله ليؤمنوا به ويعبدوه ليكملوا ويسعدوا في

---

(١) اللام في قوله: (له) مزيدة لتقوية الكلام إذ فعل سبّح يتعدى بنفسه يقال: سبحه: إذا نزهه وقال: (ما في السموات) ولم يقل: من تغليباً لغير العاقل لكثرته.

(٢) (له الملك): تقديم الخبر على المبتدأ هنا للدلالة على الاختصاص فهو تعالى مختص بكل من الملك والحمد.

(٣) الباء في (بالحق) للملابسة أي خلقاً ملتبساً بالحق بعيدا عن اللهو، واللعب والباطل.

(٤) في الآيات تقرير البعث وإمكانه بحجج عقلية لا تردها العقول الراجحة والفطر السليمة.

الحياتين بالإيمان به وبطاعته وطاعة رسوله.

٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ المؤمن مؤمن، والكافر كافر مكتوب ذلك في كتاب المقادير، ثم يظهره تعالى فى عالم الشهادة قائما على سننه في خلقه.

٣- وجوب مراقبة الله تعالى والحياء منه لأنه عليم بذات الصدور.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل : أي ألم يأتكم يا كفار قريش خبر الذين كفروا من قبلكم.

فذاقوا وبال أمرهم : أي عقوبة كفرهم في الدنيا.

ولهم عذاب أليم : أي في الآخرة.

ذلك : أي العذاب في الدنيا والآخرة.

بأنه كانت تأتيهم رسلهم : أي بسبب أنها كانت تأتيهم رسلهم.

بالبينات : أي بالحجج القواطع الدالة على صحة رسالاتهم.

فقالوا: أبشر يهدوننا : أي ردوا عليهم ساخرين مكذبين: أبشر يهدوننا ؟

فكفروا وتولوا : أي فكفروا برسلهم وتولوا عنهم أي أعرضوا.

واستغنى الله : أي عن إيمانهم.

والله غني حميد : أي غنى عن خلقه محمود بأفعاله وآلائه على خلقه.

معنى الآيتين :

بعد أن بيَّن تعالى للناس مظاهر ربوبيته المقتضية لعلمه وقدرته وحكمته وعدله ورحمته في الآيات السابقة والموجبة لألوهيته قرر في هاتين الآيتين نبوة ورسالة نبيه محمد ﷺ فقال لكفار

مكة ﴿ألم يأتكم نبأ﴾[1] أي خبر ﴿الذين كفروا من قبل﴾[2] كقوم عادٍ وثمود وأصحاب مدين، ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾[3] أي عقوبة كفرهم التى كانت عقوبة ثقيلة شديدة فأهلكوا فى الدنيا بعذاب إبادى استئصالى، وفي الآخرة لهم عذاب أليم[4] وبين لهم سبب ذلك الهلاك والعذاب فقال: ﴿ذلك[5] بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أي بالحجج والبراهين على أنهم رسل إليهم، وأنه لا إله إلا الله فلا تصح العبادة لغير الله، فيقابلونهم بالسخرية والإعراض والاستنكار وهو ما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿فقالوا أبشر[6] يهدوننا﴾ أي كيف يكون بشر مثلكم يهدوننا، وبذلك كفروا وتولوا عن الإيمان والإسلام. واستغنى الله عن إيمانهم فأهلكهم لما كفروا به وبرسله. ولم يأسف أو يأْسَ عليهم لعدم حاجته إليهم والله غنى عنهم وعن سائر خلقه حميد أي محمود بأفعاله الشاهدة بكماله وجلاله وجماله.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ توبيخ من يستحق التوبيخ وتأنيب من يستحق التأنيب.

٢ـ التكذيب للرسل والكفر بتوحيد الله موجب للعقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

٣ـ تقرير نبوة رسول الله ﷺ وإثباتها لأن شأنه شأن الرسل من قبله.

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾

---

(١) الاستفهام تقريري

(٢) حذف المضاف إليه مع (قبل) ونوي معناه دون لفظه فلذا بنيت قبل على الضم والتقدير: نبأ الذين كفروا من قبلكم.

(٣) الوبال: السوء، وما يكره، والأمر: الشأن والحال.

(٤) أي: في الآخرة لأنّ العطف يقتضي المغايرة.

(٥) الإشارة عائدة إلى المذكور قبلها وهو الوبال والعذاب الأليم.

(٦) الاستفهام في (أبشر) استفهام إنكاري إبطالي.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾

شرح الكلمات :

زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا : أي قالوا كاذبين إنهم لن يبعثوا أحياء من قبورهم.

قل بلى وربى لتبعثن : قل لهم يا رسولنا بلى لتبعثن ثم تنبئون بما عملتم.

وذلك على الله يسير : أي وبعثكم وحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم شيء يسير على الله.

والنور الذى أنزلنا : أي وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه.

ليوم الجمع : أي يوم القيامة إذ هو يوم الجمع.

ذلك يوم التغابن : أي يغبن المؤمنون الكافرين يأخذ منازل الكفار في الجنة واخذ الكفار منازل المؤمنين في النار.

ذلك الفوز العظيم : أي تكفيره تعالى عنهم سيئاتهم وإدخالهم جنات تجرى من تحتها الأنهار هو الفوز العظيم.

بئس المصير : أي قبح المصير الذي صاروا إليه وهو كونهم أهلاً للجحيم.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية قريش إنه بعد أن ذكرهم بمصير الكافرين من قبلهم وفي ذلك دعوة واضحة لهم إلى الإيمان بتوحيد الله وتصديق رسوله. دغاهم هنا إلى الإيمان بأعظم أصل من أصول الهداية البشرية وهو الإيمان بالبعث والجزاء وهم ينكرون ويجاحدون ويعاندون فيه فقال في أسلوب غير المواجهة بالخطاب زعم[1] الذين كفروا والزعم ادعاء باطل وقول إلى الكذب أقرب منه إلى الصدق. أن لن يبعثوا أي أنهم إذا ماتوا لن يبعثوا أحياء يوم القيامة. قل لهم يارسولنا: ﴿بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤنَّ بما عملتم﴾ ولازم ذلك الجزاء العادل على كل أعمالكم وهي أعمال فاسدة غير صالحة مقتضية للعذاب والخزي في جهنم ﴿وذلك على[2] الله يسير﴾ أي وأعلمهم أن بعثهم وتنبئتهم بأعمالهم وإثابتهم عليها أمر سهل هين لا صعوبة فيه وبعد هذه

(١) هنا كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً المخاطب فيه رسول الله ﷺ يذكر فيه كفر المشركين بالبعث ويرد عليهم بتقرير مانفوه وزعموا أنه غير واقع، والزعم: القول الموسوم بمخالفة الواقع، ويطلق على الخبر المشكوك في وقوعه.

(٢) (وذلك على الله يسير): تذييل، واسم الإشارة عائد إلى البعث المفهوم من قوله: (لتبعثن).

اللفتـة اللطيفـة دعاهم دعوة كريمة إلى طريق سعادتهم ونجاتهم فقال عز وجل: ﴿فآمنوا بالله[1] ورسـوله﴾ أي صدقوا بتوحيد الله وبنبوة رسوله وبالنور الذي أنزلنا وهو القرآن الكريم، واعملوا الصـالحـات وتبـاعدوا عن السيئات ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أي وسيجزيكم بأعمالكم. وذلك ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ وهـو يوم القيامـة ويجـازيكم بأعمالكم خيرها وشرها ذلك يوم التغابن[2] الحقيقي حيث يرث أهل الجنة منازل أهل النار في الجنة ويرث أهل النار منازل أهل الجنة في النار، وهذا قائم على أساس أن الله تعالى أوجد لكل انسان منزلاً في الجنة وآخر في النار، فمن آمن وعمل صالحا دخل الجنة وحاز منزله ومنزل إنسان آخر هو في النار فحصل بذلك الغبن بينه وبين من هو في النار قد ورث منزله فيها وبعد هذا الدعاء الخاص الموجه إلى كفار قريش قال تعالى واعداً عامة الناس عربهم وعجمهم من وجد منهم ومن لم يوجد بعد: ومن يؤمن بالله[3] ويعمل صالحاً يكفر[4] عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم لأنه نجاة من النار ودخول الجنة هذا وعده الصادق لمن آمن وعمل صالحاً. وقال: ﴿والـذين كفـروا[5]﴾ أي بالله ورسـوله ولقائه وكذبوا بآياتنا أي القرآن وما فيه من شرائع وأحكام والتكذيب مانع من العمل الصالح قطعاً إذاً ﴿أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ النار والخلود فيها هذا وعيده تعالى المقابل لوعده السابق اللهم اجعلنا من أهل وعدك ولا تجعلنا من أهل وعيدك ياواسع الفضل يا رحمن.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير البعث والجزاء.

٢ـ تقرير التوحيد والنبـوة.

٣ـ بيان كون القرآن نوراً فلا هداية في هذه الحياة إلا به فمن طلبها في غيره ما اهتدى.

---

(١) (فآمنوا): الفاء هي الفصيحة إذ أفصحت عن شرط مقدّر، والتقدير: فإذا علمتم هذه الحجج وتذكرتم ما حل بأسلافكم من العقاب فآمنوا بالله ورسوله لتنجوا مما حل بالكافرين من أمثالكم.

(٢) الإتيان باسم الإشارة بدل الضمير كان لقصد الاهتمام بهذا اليوم بتمييزه مع ما يفيده اسم الإشارة من البعد والعلو نحو: (ذلك الكتاب) والتغابن: تفاعل صادر بين اثنين هذا مغبون وذاك غابن، والغبن: أن يُعطى البائع ثمناً دون ثمن بضاعته.

(٣) هذه الآية متضمنة تفصيلاً لما أجمل في الجمل قبلها وتحمل عفواً عاماً لمن آمن من الكافرين ووحد من المشركين بأن الله تعالى سيعفو عنهم ويغفر لهم ويدخلهم الجنة.

(٤) قرأ نافع: (نكفر) و(ندخل) بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى المتكلم. وقرأ حفص (يكفر) و(يدخل) بياء الغيبة على مقتضى الظاهر.

(٥) أي: والذين استمروا على الكفر والتكذيب ولم يتوبوا بالإيمان وترك الشرك والمعاصي فجزاؤهم الملائم لخبث نفوسهم من جرّاء الشرك والمعاصي هو ما ذكر تعالى من الخلود في النار.

٤ـ الترغيب في الإيمان والعمل الصالح وبيان أنهما مفتاح دار السلام.
٥ـ التحذير من الكفر والتكذيب بالقرآن وشرائعه وأحكامه فان ذلك يقود الى النار.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله : أي ما أصابت احداً من الناس مصيبةٌ الا بقضاء الله تعالى وتقديره ذلك عليه.

ومن يؤمن بالله يهد قلبه : أي ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة الا بإذنه تعالى يهد قلبه للتسليم والرضاء بقضائه فيسترجع ويصبر.

فإن توليتم : أي عن طاعة الله ورسوله فلا ضرر ولا بأس على رسولنا في توليكم إذ عليه إبلاغكم لا هدايتكم.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ما أصاب[1] من مصيبة إلا بإذن الله[2]﴾ في هذه الآية رد على الكافرين الذين يقولون لو كان المسلمون على حق، وما هم عليه حقاً لصانهم الله من المصائب في الدنيا، ولما سلط عليهم كذا وكذا... فأخبر تعالى أنه ما من أحد من الناس تصيبه مصيبة في نفس أو ولدٍ أو مالٍ إلا وهي بقضاء الله وتقديره ذلك عليه، ومن يؤمن بالله رباً وإلهاً عليماً حكيماً وأن ما أصابه لم

(١) قال القرطبي: قيل سبب نزول هذه الآية أن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حق لصانهم الله من المصائب في الدنيا ورد تعالى عليهم بأن المصائب التي تصيب العبد هي بإذن الله ولها أسبابها مرتبطة معها وهي سنن لله تعالى لا تتخلّف.
(٢) أنثت المصيبة لأنها بمعنى الحادثة والإذن: أصله إجازة الفعل لمن يفعله والمراد هنا أن ما يصيب العبد من خير وشر هو بتدبير الله تعالى في ربطه الأسباب بالمسببات فعاد الأمر إلى إذنه تعالى بوقوع ما أراده من خير أو غيره.

يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه يهد[1] قلبه فيصبر ويسترجع فيُؤجر وتخف عنده المصيبة بخلاف الكافر بالله وقضائه وقدره.

وقوله تعالى ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فلا يخفى عليه شيء فلا يحدث حدث في الكون الا بعلمه وإذنه وهذه حال تقتضى الرضا بالقضاء والقدر والتسليم لله تعالى فيما يقضى به على عبده وفي ذلك خير كثير لا يعرفه إلا أصحاب الرضا بالقضاء والتسليم للعليم الحكيم.

وقوله تعالى ﴿وأطيعوا الله واطيعوا الرسول﴾ يأمر تعالى عباده عامة بطاعة الله وطاعة رسوله لأن كمال الإنسان وسعادته مرتبطة بهذه الطاعة التى هي عبارة عن تطبيق نظام دقيق ينتج صفاء روح وزكاة نفس يتأهل بها العبد إلى النزول بالملكوت الأعلى «الجنة دار الأبرار».

وقوله ﴿فإن توليتم﴾ أي أعرضتم عن هذه الدعوة فرفضتم طاعة الله ورسوله فلا ضرر على رسولنا ولا ضير إذ عليه البلاغ المبين وقد بلغ مبيناً غاية التبيين، وأما هدايتكم فلم يكلف بها إذ لا يقدر عليها ولا يكلف الله نفساً إلا طاقتها.

وقوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ أي أن الذي أمركم بطاعته وطاعة رسوله هو الله الذي لا إله إلا هو أي المعبود الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح الا له لأنه الخالق لكم الرازق المدبر لحياتكم، ﴿وعلى الله فليتوكل[2] المؤمنون﴾ فإنه يكفي المؤمن الذي يتوكل عليه يكفيه كل ما يهمه من أمر دنياه وآخرته. ولا كافى إلا هو سبحانه وتعالى.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٢- وجوب الصبر عند نزول المصيبة والرضا والتسليم لله تعالى في قضائه وحكمه، ومن تكن هذه حالهُ يهد الله قلبه[3] ويرزقه الصبر وعظيم الأجر ويلطف به في مصيبته وإن هو استرجع قائلاً إنا لله وإنا اليه راجعون أخلفه الله عما فقده وآجره.

٣- وجوب طاعة الله وطاعة رسوله في الأمر والنهي.

٤- تقرير التوحيـد.

---

(١) (يهـد قلبه) عندما تصيبه المصيبة فيسترجع أي: يقول إنا لله وإنا إليه راجعون ويصبر، فالإيمان هو السبب في حصول هداية القلب فإذا هدى القلب حصل الاسترجاع وحصل الصبر وخف وقع المصيبة.

(٢) الجملة معطوفة على قوله: (وأطيعوا الله) فهي في معنى: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وتوكلوا على الله وحده لأنّ الطاعة تتطلب عملا وجهداً وهما يتطلبان اعتماداً على الله إذ هو المعين للعبد على الطاعة دون غيره فليكن التوكل عليه وحده.

(٣) (يهد قلبه) فيسترجع ويصبر، والإيمان الصحيح هو الذي ينتج هداية القلب فإذا اهتدى القلب إلى معرفة حكم الله وقضائه صبر وظفر.

٥ـ وجوب التوكل على الله تعالى وهو فعل المأمور وترك المنهى وتفويض الامر لله بعد ذلك. ولن يكون الا خيراً بإذن الله تعالى.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

إن من أزواجكم واولادكم عدوا لكم : أيّ من بعض أزواجكم وبعض أولادكم عدوّاً أي يشغلونكم عن طاعة الله أو ينازعونكم في أمر الدين أو الدنيا.

فاحذروهم : أي أن تطيعوهم في التخلف عن فعل الخير كترك الهجرة أو الجهاد أو صلاة الجماعة أو التصدق على ذوي الحاجة.

وان تعفوا : أي عمن ثبطكم عن الخير من زوجة وولد.

وتصفحوا وتغفروا : أي وتعرضوا عنهم وتغفروا لهم ما عملوه معكم من تأخيركم عن الهجرة أو الجهاد أو الإنفاق في سبيل الله.

فان الله غفور رحيم : أي يغفر لمن يغفر ويرحم من يرحم.

إنما أموالكم وأولادكم فتنة : أي بلاء واختبار لكم فاحذروا أن يصرفوكم عن طاعة الله أو يوقعوكم في معصيته.
والله عنده أجر عظيم : أي فآثروا ما عنده تعالى على ما عندكم من مال وولد.
فاتقوا الله ما استطعتم : أي افعلوا ما تقدرون عليه من أوامره، واجتنبوا نواهيه كلها.
ومن يوق شح نفسه : أي ومن يقه الله شح نفسه فيعافيه من البخل والحرص على المال.
يضاعفه لكم : أي الدرهم بسبعمائة.
والله شكور حليم : أي يُجازى على الطاعة ولا يعاجل بالعقوبة.

معنى الآيات:

هذه الآيات الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الى قوله ﴿العزيز الحكيم﴾ نزلت في[1] أناس كان لهم أزواج وأولاد عاقوهم عن الهجرة والجهاد فترة من الوقت فلما تغلبوا عليهم وهاجروا ووجدوا الذين سبقوهم إلى الهجرة قد تعلموا وتفقهوا في الدين فتأسفوا عن تخلفهم فهموا بأزواجهم وأولادهم الذين عاقوهم عن الهجرة فترة طويلة أن يعاقبوهم بنوع من العقاب من تجويع أو ضرب أو تشريب وعتاب فأنزل الله تعالى هذه الآيات يا أيها الذين آمنوا أي يا أيها المؤمنون إن من[2] أزواجكم وأولادكم[3] أي من بعضهم لا كلهم إذ منهم من يساعد على طاعة الله ويكون عوناً عليها عدواً لكم يصرفكم عن طاعة الله والتزود للدار الآخرة، وقد ينازعونكم في دينكم ودنياكم إذاً فاحذروهم أي كونوا منهم على حذر أن تُطيعوهم في التخلف عن فعل الخير من هجرة وجهاد وغيرهما وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا أي عمن شغلوكم عن طاعة الله فعاقوكم عن الهجرة والجهاد فلم تضربوهم ولم تجوعوهم ولم تثربوا عليهم ولم تعاتبوهم بل تطلبون العذر لما قاموا به نحوكم يكافئكم الله تعالى بمثله فيعفو عنكم ويصفح ويغفر لكم كما عفوتم وصفحتم وغفرتم لأزواجكم وأولادكم الذين أخروا هجرتكم وعطلوكم عن الجهاد في سبيل الله.

---

(١) قال القرطبي: قال ابن عباس: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي بالمدينة النبوية شكا إلى النبي ﷺ جفاء أهله وولده، وعن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلها جملة إلا هؤلاء الآيات (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم..) الخ.

(٢) الآية عامة في الرجال والنساء فكما يكون للرجل من امرأته وولده عدوٌ يكون كذلك للمرأة من زوجها وولدها عدو، ووجب الحذر على المؤمنين، ويكون الحذر بوجهين: إمّا لضرر في البدن وإما لضرر في الدين، وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالآخرة فحذر الله تعالى العبد من ذلك وأنذره به.

(٣) (من) للتبعيض إذ ما كل من له زوجة وولد كانوا له عدواً.

وقوله تعالى ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة[1] والله عنده أجر عظيم﴾ أي إنما أموالكم وأولادكم أي كل أموالكم وأولادكم فتنة واختبار من الله لكم هل تحسنون التصرف فيهم فلا تعصوا الله لأجلهم لا بترك واجب ولا بفعل ممنوع، أو تسيئون التصرف فيحملكم حبهم على التفريط في طاعة الله أو التقصير في بعضها بترك واجب أو فعل حرام والله عنده أجر عظيم فآثروا ما عند الله على ما عندكم من مال وولد، إن ما عند الله باق، وما عندكم فانٍ، فآثروا الباقى على الفانى.

وقوله تعالى ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[2] هذا من إحسان الله تعالى الى عباده المؤمنين إنه لما علمهم أن أموالهم وأولادهم فتنة وحذرهم أن يؤثروهم على طاعة الله ورسوله علم أن بعض المؤمنين سوف يزهدون فى المال والولد، وأن بعضاً سوف يعانون أتعاباً ومشقة شديدة في التوفيق بين خدمة المصلحتين فأمرهم أن يتقوه في حدود ما يطيقون فقط وخير الأمور الوسط فلا يفرط في ولده وماله، ولا يفرط في علة وجوده وسبب نجاته وسعادته وهي عبادة الله تعالى التي خلق لأجلها وعليها مدار نجاته من النار ودخوله الجنة.

وقوله تعالى واسمعوا[3] ما يدعوكم الله ورسوله إليه ﴿وأطيعوا وأنفقوا﴾ في طاعة الله من أموالكم خيراً[4] لأنفسكم من عدم الإنفاق فإنه شر لكم وليس بخير.

وقوله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ أعلمهم أن عدم الإنفاق ناتج عن شح النفس، وشح النفس لا يقى منه إلا الله، فعليكم باللجوء إلى الله تعالى ليحفظكم من شح نفوسكم فادعوه وتوسلوا إليه بالإنفاق قليلاً قليلاً حتى يحصل الشفاء من مرض الشح الذي هو البخل مع الحرص الشديد على جمع المال والحفاظ عليه ومن شفي من مرض الشح أفلح وأصبح في عداد المفلحين الفائزين بالجنة بعد النجاة من النار. وقوله ﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم[5] ويغفر لكم﴾ هذا الترغيب عظيم من الله تعالى للمؤمنين في النفقة في سبيله

---

(١) (فتنة) أي: بلاء واختبار يحملكم على كسب المحرم ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله تعالى، روي عن ابن مسعود انه كان يقول: لا تقولوا: اللهم اعصمني من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن.

(٢) هل هذه الآية مخصصة لآية آل عمران: (فاتقوا الله حق تقاته) هذا هو الظاهر إذ من غير الممكن أن يتقى الله حق تقاته أي: تقواه الحقة فلو أن العبا ذاب ذوباناً من خشية الله تعالى ما اتقى الله حق تقاته.

(٣) قال القرطبي: اسمعوا، نوعظون به وأطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه، والآية أصل في السمع والطاعة في بيعة الرسول ﷺ على السمع والطاعة ولأولى الأمر.

(٤) يصح في نصبه ثلاثة أوجه الأول أن يكون الخير بمعنى المال ويكون خيراً مفعولاً به، والثاني: ان يكون (خيراً) نعتاً لمصدر محذوف أي انفقوا إنفاقاً خيراً، والثالث أن يكون منصوباً بفعل مضمر دل عليه أنفقوا اي ايتوا في الإنفاق خيراً لانفسكم.

(٥) المضاعفة: هي إعطاء الضعف، والشكور: فعول بمعنى فاعل أي: مبالغة في الشكر.

إذ سماها قرضاً والقرض مردود وواعد بمضاعفتها وزيادة أخرى أن يغفر لهم بذلك ذنوبهم، واشتراط الحسن للقرض اشتراط معقول وهو أن يكون المال الذي أقرض الله حلالاً لا حراماً، وأن تكون النفس طيبة به لا كارهة له، وهذا من باب النصح للمؤمنين ليحصلوا على الأجر مضاعفاً. وقوله تعالى ﴿والله شكور حليم﴾ ترغيب ايضا لهم في الإنفاق لأن الشكور معناه يُعطي القليل فيكافيء بالكثير، والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة. ومثله يقرض القرض الحسن. وقوله ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ترغيب ايضاً في الإنفاق إذا أعلمهم أنه لا يغيب عنه من أمورهم شيء يعلم الخفي منها والعلنى، وما غاب عنهم فلم يروه وما ظهر لهم فشهدوه فذو العلم بهذه المثابة معاملته مضمونة لا يخاف ضياعها ولا نسيانها. وقوله ﴿العزيز الحكيم﴾ أي العزيز الانتقام من أعدائه الحكيم في إجراء أحكامه وتدبير شؤون عباده.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان أن من بعض الزوجات والأولاد عدواً فعلى المؤمن أن يحذر ذلك ليسلم من شرهم.

٢- الترغيب في العفو والصفح والمغفرة على من أساء أو ظلم.

٣- التحذير من فتنة المال والولد ووجوب التيقظ حتى لا يهلك المرء بولده وماله.

٤- وجوب تقوى الله بفعل الواجبات وترك المنهيات في حدود الطاقة البشرية.

٥- الترغيب في الإنفاق في سبيل الله تعالى والتحذير من الشح فإنه داء خطير.

سُورَةُ الطَّلَاقِ

مدنيـة وآياتها ثلاث عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ

ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

شرح الكلمات :

يا أيها النبي : أراد الله بالنداء النبي ﷺ وأمته بدليل ما بعده.

إذا طلقتم النساء : أي إذا أردتم طلاقهن.

فطلقوهن لعدتهن : أي لِقُبُلِ عدتهن أي في طهر لم يجامعها فيه.

وأحصوا العدة : أي احفظوا مدتها حتى يمكنكم المراجعة فيها.

واتقوا ربكم : أي أطيعوه في أمره ونهيه.

لا تخرجوهن من بيوتهن : أي لا تخرجوا المطلقة من بيت زوجها الذي طلقها حتى تنقضي عدتها.

إلا أن يأتين بفاحشة مبينة : أي إلا أن يؤذين بالبذاء في القول وسوء الخلق، أويرتكبن فاحشة من زناً بينة ظاهر لا شك فيها.

وتلك حدود الله : أي المذكورات من الطلاق في أول الطهر وإحصاء العدة وعدم إخراج المطلقة من بيتها حتى تنقضي عدتها.

لا تدرى لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً: أي يجعل في قلب الزوج الرغبة في مراجعتها فيراجعها إذا لم تكن الثالثة من الطلقات.

معنى الآية

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾[1] يخاطب الله تبارك وتعالى رجال أمة الإسلام في شخصية نبيها محمد ﷺ فيقول: إذا طلقتم[2] أي إذا أردتم طلاقهن لأمر اقتضى ذلك فطلقوهن لعدتهن أي لأول عدتهن وذلك في طهر لم تجامع فيه لتعدَّ ذلك الطهر أول عدتها. وقوله تعالى:

---

(١) في سنن ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طلّق حفصة رضي الله عنها ثم راجعها بأمر الله تعالى وقيل له: راجعها فإنها قوّامة صوّامة رضي الله عنها وأرضاها، وضعّف الحديث، وعلى كل حال فالآية تشريع عامّ لأمة الإسلام بغض الطرف عن سبب النزول.

(٢) وردت أحاديث كثيرة ضعيفة السند ومجموعها يدل على كراهية الطلاق وأنه عمل غير صالح إن كان بدون ضرورة وهي رفع الضرر عن أحد الزوجين. الجمهور أن من طلق واستثنى فله ما استثناه فلو قال: أنت طالق إن شاء الله فله استثناؤه ولا طلاق عليه.

﴿وأحصوا العدة﴾ أي احفظوها فاعرفوا بدايتها ونهايتها لما يترتب على ذلك من أحكام من صحة المراجعة وعدمها، ومن النفقة، والإسكان وعدمهما. وقوله: ﴿واتقوا الله ربكم﴾ فامتثلوا أوامره وقفوا عند حدوده فلا تتعدوها، لا تخرجوهن أي المطلقات من بيوتهن اللاتي طلقن فيهن، ولا يخرجن أي ويجب أن لا يخرجن من بيوتهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة كزناً ظاهر أو تكون سيئة بذيئة اللسان فتؤذى أهل البيت أذىً لا يتحملونه فعندئذ يباح إخراجها.

وقوله تعالى: ﴿وتلك حدود الله﴾ أي المذكورات من الطلاق لأول الطهر، وإحصاء العدة، وعدم إخراجهن من بيوتهن، وقوله ﴿ومن يتعد حدود الله﴾ فيتجاوزها ولم يقف عندها فقد ظلم نفسه وتعرض لعقوبة الله تعالى عاجلاً أو آجلاً.

وقوله تعالى: ﴿لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ أي بأن يجعل الله تعالى في قلب الرجل رغبة في مراجعة مطلقته فيراجعها، وفي ذلك خير كثير.

هداية الآية :

من هداية الآية :

١ـ بيان السنة في الطلاق وهي أن يطلقها في طهرٍ لم يمسها فيه بجماع.[1]

٢ـ أن يكون الطلاق واحدة لا اثنتين ولا ثلاثاً.

٣ـ وجوب إحصاء العدة ليعرف الزوج متى تنقضي عدة مطلقته لما يترتب على ذلك من أحكام الرجعة والنفقة والإسكان.

٤ـ حرمة إخراج المطلقة من بيتها الذي طلقت فيه إلى أن تنقضي عدتها إلاّ أن ترتكب فاحشة ظاهرة كزناً أو بذاءة أو سوء خلق وقبيح معاملة فعندئذ يجوز إخراجها.

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ

(١) وأن يكون واحدة لا اثنتين أو ثلاثاً، وطلاق البدعة خلافه وهو: أن يطلقها وهي حائض أو في طهر جامعها فيه أو بلفظ اثنين أو ثلاث ومن أهل العلم من لا يعد الطلاق البدعي طلاقاً، ومنهم من يمضيه واحتج المانعون والمجيزون بحديث ابن عمر في الصحيح: (إذ طلق ابن عمر زوجته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فقال له: ليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل) فمن قال: إن الرسول ﷺ قد حسبها له طلقة قال الطلاق في الحيض يمضي وهو بدعة، ومن قال: إن الرسول ﷺ لم يعدها بل قال له: (إذا طهرت ليطلق أو ليمسك) قال: الطلاق في الحيض بدعة ولا يمضي.

وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

فإذا بلغن أجلهن : أي قاربن انقضاء عدتهن.

فأمسكوهن بمعروف : أي بأن تراجعوهن بمعروف من غير ضرر.

أو فارقوهن بمعروف : أي أتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة.

وأشهدوا ذوى عدل منكم : أي اشهدوا على الطلاق وعلى الرجعة رجلين عدلين منكم أي من المسلمين فلا يشهد كافر.

وأقيموا الشهادة لله : أي لا للمشهود عليه أوله بل لله تعالى وحده.

ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر : إي ذلكم المذكور من أول السورة من أحكام يؤمر به وينفذه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

ومن يتق الله : أي في أمره ونهيه فلا يعصه فيهما.

يجعل له مخرجاً : أي من كرب الدنيا والآخرة.

ويرزقه من حيث لا يحتسب : أي من حيث لا يرجو ولا يؤمل.

فهو حسبه : أي كافيه ما يهمه من أمر دينه ودنياه.

قد جعل الله لكل شيء قدراً : أي من الطلاق والعدة وغير ذلك حداً وأجلاً وقدراً ينتهى إليه.

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في بيان العِدَدِ وأحكام الطلاق والرجعة. قال تعالى : ﴿فإذا بلغن﴾[1] أي المطلقات أجلهن أي قاربن انقضاء العدة فأمسكوهن بمعروف أي راجعوهن على أساس حسن العشرة والمصاحبة الكريمة لا للإضرار بهن كأن يراجعها ثم يطلقها يطول عليها العدة فهذا لا

---

(١) هذا لقوله تعالى : (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن) أي : قاربن من انقضاء الأجل.

يجوز لحرمة الإضرار بالناس وفي الحديث: لا ضرر ولا ضرار.[1] وقوله ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ وذلك بأن يعطيها ما بقي لها من مهرها ويُمتّعها[2] بحسب حاله غنىً وفقراً. وقوله تعالى ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ أي أشهدوا على النكاح والطلاق والرجعة أما الإشهاد على النكاح فركن ولا يصح النكاح بدونه، وأما في الطلاق والرجعة فهو مندوب، وقد يصح الطلاق والرجعة بدونه، ويشترط في الشهود أن يكونوا عدولاً، وأن يكونوا مسلمين لا كافرين.[3] وقوله: ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ أي أدوها على وجهها ولا تراعوا فيها الا وجه الله عز وجل. وقوله: ﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ أي ذلكم المأمور به من أول السورة كالطلاق في طهر لم يجامعها فيه وكإحصاء العدة وعدم إخراج المطلقة من بيتها والإمساك بالمعروف والفراق بالمعروف والإشهاد في النكاح والطلاق والرجعة والإقساط في الشهادة كل ذلك يوعظ به أي يؤمر به وينفذه المؤمن بالله واليوم الآخر إذ هو الذي يخاف عقوبة الله وعذابه فلا يقدم علي معصيته.

وقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أتى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمّهُ فبم تأمرني؟ قال آمرك وإياها أن تكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالت المرأة نعم ما أمرك به فجعلا يكثران منها فغفل العدو عن ابنهما فاستاق غنمهم وجاء بها الى أبويه فنزلت هذه الآية، وهي عامة في كل من يتق الله تعالى فإنه يجعل له من كل ضيق مخرجاً ومن كل كرب فرجا، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يؤمل، ولا يخطر له على بال، ومن يتوكل على الله تعالى في أمره فلا يفرط في أمر الله، ولا يضيع حقوقه فإن الله تعالى يكفيه ما يهمه من أمر دينه ودنياه. وقوله تعالى ﴿إن الله بالغ أمره﴾[4] أي منفذ أمره في عباده لا يعجزونه أبداً، وقد[5] جعل لكل شيء قدراً أي مقداراً وزماناً ومكاناً فلا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط، ولا يقع في ملك الله الا ما يريد الله.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) المتعة واجبة للمطلقة التي لم يفرض لها صداق ولغيرها من المطلقات سنة مستحبة.

(٣) وان يكونا ذكرين فالنساء شهادتهن خاصة في الأموال لا غير.

(٤) قرأ نافع (إن الله بالغٌ أمره) بتنوين بالغ ونصب أمره على أنه معمول لاسم الفاعل المنون، وقرأ حفص بإضافة بالغ إلى أمره فبالغ مرفوع بدون تنوين وأمر: مجرور بالإضافة إليه.

(٥) أي: لكل شيء من الشدة والرخاء أجل ينتهي إليه. قاله القرطبي: وما في التفسير أوضح وأشمل.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١- لا تصح الرجعة إلا في العدة فإن انقضت العدة فلا رجعة وللمطلقة ان تتزوج من شاءت هو أو غيره من ساعة انقضاء عدتها.

٢- لا تحل المراجعة للإضرار، ولكن للفضل والإحسان وطيب العشرة.

٣- مشروعية الإشهاد على الطلاق والرجعة معاً.

٤- يشترط في الشهود العدالة، فإذا خفت العدالة في الناس استُكْثِرَ من الشهود.

٥- وعد الله الصادق بالفرج القريب لكل من يتقه سبحانه وتعالى، والرزق من حيث لا يرجو.

٦- تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٧- كفاية الله لمن توكل عليه.(١)

وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

واللائي يئسن من المحيض	: والنسوة اللائي يئسن من الحيض.
إن ارتبتم	: أي شككتم في عدتهن.
واللائي لم يحضن	: أي لكبر سن أو صغر سن.
وأولات الأحمال	: أي ذوات الأحمال: النساء الحوامل.
أجلهن	: أي في انقضاء عدتهن أن يضعن حملهن.

(١) روى القرطبي عن الربيع بن خيثم قوله: إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه أجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه). (إن تقرضوا الله قرضاً حسنا يضاعفه لكم) (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان).

ذلك أمر الله : أي ذلك المذكور في العدة وتفاصيلها.

أنزله إليكم : أي لتأتمروا به وتعملوا بمقتضاه.

معنى الآيتين :

ما زال السياق الكريم في بيان أحكام الطلاق والرجعة والعدة فقال تعالى: ﴿واللائي[1] يئسن[2] من المحيض﴾ أي لكبر سنهن كمن تجاوزت الخمسين من عمرها إذا طلقت بعد الدخول بها. إن ارتبتم[3] أيها المؤمنون في مدّة عدتهن، فعدتهن ثلاثة أشهر. واللائي لم يحضن أي لصغرهن كذلك، عدتهن ثلاثة أشهر وقوله ﴿وأولات الأحمال﴾ أي الحوامل إن طُلقن أو مات عنهن أزواجهن أجلهن في انقضاء عدتهن أن يضعن حملهن أي وضع حملهن فمتى ولدت ما في بطنها من جنين فقد انقضت عدتها ولو وضعته قبل استكمال التسعة أشهر، إن لم تتعمد إسقاطه بالإجهاض المعروف اليوم عند الكوافر والكافرين.

وقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله﴾ أي منكم أيها المؤمنون في هذه الأحكام المتعلقة بالطلاق والرجعة والعدة فلا يخالف أمره في ذلك يكافئه الله تعالى من فضله فيجعل له من أمره يُسرا فيسهل عليه أمره ويرزقه ما تقر به عينه ويصلح به شأنه.

وقوله تعالى: ﴿ذلك أمر الله أنزله إليكم﴾ أي ذلك المذكور من الأحكام في هذه السورة من الطلاق والرجعة والعدة وتفاصيلها حكم الله أنزله إليكم لتأمروا وتعملوا به فاعملوا به ولا تهملوه طاعة لله وخوفاً من عذابه ومن يتق الله في أوامره ونواهيه فيؤدى الواجبات ويتجنب المحرمات يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً أي يغفر له ذنوبه ويدخله الجنة.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ ـ بيان العدة وهى كالتالي :

١ ـ متوفى عنها زوجها وهي غير حامل عدتها: أربعة أشهر وعشر ليال.

---

(١) روي أن عددا من الصحابة وهم: أبي بن كعب وخلاد بن النعمان ومعاذ بن جبل كل واحد سأل رسول الله ﷺ عن عدة الصغيرة والكبيرة ممن لا يحضن وعدة الحامل كذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية: (واللائي يئسن). والآية مخصصة لعموم آية البقرة ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ فقد نزلت سورة الطلاق بعد سورة البقرة.

(٢) اليأس: عدم الأمل والميؤوس منه في الاية هو: الحيض وسواء كان قد وجد وانعدم أم لم يوجد بعد.

(٣) أطلق الفقهاء على التي تحيض وانقطع حيضها وهي لم تبلغ سن اليأس أطلقوا عليها: (المرتابة) وألزموها بأن تتربّص تسعة أشهر وهي مدة الحمل فإن لم تحض ولم يظهر لها حمل اعتدت بثلاثة أشهر فتتم لها سنة ثم لها أن تتزوج لانقضاء عدتها.

٢ـ متوفى عنها زوجها وهي حامل : عدتها وضع حملها.[١]

٣ـ مطلقة لا تحيض لكبر سنها أو لصغر سنها وقد دخل بها : عدتها ثلاثة أشهر.

٤ـ مطلقة تحيض عدتها ثلاثة قروء أي حيض تبتدىء بالحيضة التي بعد الطهر الذي طلقت فيه . أو ثلاثة اطهار[٢] كذلك الكل واسع ولفظ القرء مشترك دال على الحيض وعلى الطهر.

٥ـ بيان أن أحكام الطلاق والرجعة والعدد مما أوحى الله به وأنزله في كتابه فوجب العمل به ولا يحل تبديله أو تغييره باجتهاد أبداً.

٦ـ فضل التقوى وأنها باب كل يسر وخير في الحياة الدنيا والآخرة.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

من وجدكم : أي من وسعكم بحيث يسكن الرجل مطلقته في بعض سكنه.

ولا تضاروهن : أي لا تطلبوا ضررهن بأي حال من الأحوال سواء في السكن أو النفقة.

---

(١) اختلف في الحامل تسقط هل تنقضي عدتها بالإسقاط أو لا فالإجماع إن كان ما سقط منها ولد تام الخلقة فإن عدتها انتهت بذلك، واختلف فيما إذا كان السقط مجرد علقة أو مضغة والراجح أنها تحل لأن العبرة بخلو الرحم يقيناً وقد خلا بالإسقاط.

(٢) الاعتداد بالأطهار أولى لما فيه من التخفيف على المعتدة ولظاهر الآية (فطلقوهن لعدتهن) أي : لأول عدتهن وهو الطهر الذي طلقها فيه ولم يمسها.

لتضيقوا عليهن : أي لأجل أن تضيقوا عليهن السكن فيتركنه لكم ويخرجن منه .
وإن كنّ أولات حمل : أي حوامل يحملن الأجنة في بطونهن .
فان ارضعن لكم : أي أولادكـــم .
فآتوهن أجورهن : فاعطوهن أجورهن على الإرضاع هذا في المطلقات .
وأتمروا بينكم بمعروف : أي وتشاوروا أو ليأمر كل منكم صاحبه بأمر ينتهى باتفاق على أجرة معقولة لا إفراط فيها ولا تفريط .
وان تعاسـرتم : فإن امتنعت الأم من الإرضاع أو امتنع الأب من الأجرة .
لينفق ذو سعة : أي لينفق على المطلقات المرضعات ذو الغنى من غناه .
ومن قدر عليه رزقه : ومن ضيق عليه عيشه فلينفق بحسب حاله .

معنى الآيتين :

بعد بيان الطلاق بقسميه الرجعى والبائن وبيان العدد على اختلافها بيّن تعالى في هاتين الآيتين أحكام النفقات والإرضاع فقال تعالى : ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم[1] من وجدكم﴾ أي من وسعكم ولا تضاروهن[2] بأي مضارة لا في السكن ولا في الإنفاق ولا في غيره من أجل أن تضيقوا عليهن فيتركن لكم السكن ويخرجن . وهؤلاء المطلقات طلاقا رجعياً وهن حوامل أو غير حوامل . وقوله تعالى ﴿وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتي يضعن حملهن﴾ أي وان كانت المطلقة طلاق البتة أي طلقها ثلاث مرات فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن أي أسكنوهن وأنفقوا عليهن إلى أن يلدن فإن وضعت حملها فهما بالخيار إن شاءت أرضعت له ولده بأحرة يتفقان عليها وان شاء هو أرضع ولده مرضعاً غير أمه وهو معنى قوله تعالى فإن أرضعن[3] لكم فآتوهن أجـورهن وائتمروا بينكم بمعروف وذلك يتم بتبادل الرأي الى الاتفاق على أجرة معينة ، وان تعاسرا بأن طلب كل واحد عسر الثاني أي تشاحًا في الأجرة فلم يتفقا فلترضع له أي للزوج امرأة أخرى من نساء القرية .

---

(١) قال أشهب عن مالك : يخرج عنها إذا طلقها ويتركها في المنزل للآية (أسكنوهن) والصحيح أنّ المنزل إذا كان يتسع لهما معاً هي في حجرة وهو في أخرى فلا داعي لإخلائه لها وإن كان لا يتسع إلا لواحد فنعم يجب أن يتركه لها ، وقوله تعالى : (من حيث سكنتم) يقرر أن السكنى تكون في بيت الزوج المطلق .

(٢) المضارة : الإضرار، والمراد بالتضييق المحرم: إحراجهن أو أذاهن بأي أذىً. فقوله تعالى : (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) شامل للمضايقة في السكنى والنفقة وفي العدة بأن يطلقها حتى إذا كادت تنقضي عدتها راجعها ثم يُطلقها.

(٣) هل على المرأة أن ترضع ولدها؟ إن كانت عصمة الزوجية قائمة فالصحيح أنها ترضع ولدها وجوباً وإن انفصلت عروة الزوجية فلا يجب على الوالدة إرضاع إلا إذا لم يقبل غيرها وخيف عليه الموت فيتعين عليها إرضاعه بأجرة إن شاءت . وأبو حنيفة لا يرى وجوب الإرضاع على الأم مطلقاً ويرى بعض العكس. والوسط ما قدمناه وهو الحق.

وقوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة[1] من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ أمر تعالى المؤمن إذا طلق أن ينفق على مطلقته التى ترضع له ولده أو التي هى في عدتها في بيته بحسب يساره وإعساره أو غناه وافتقاره، إذ لا يكلف الله نفساً إلا ما أعطاها من قدرة أو غنىً وطَوْل والقاضى هو الذي يقدر النفقة عند المشاحة وتكون بحسب دخل الرجل وما يملك من مال.

وقوله تعالى: ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ هذا وعد صدق أتمه لأصحاب رسوله حيث كانوا في عسر ففتح عليهم ملك كسرى والروم فأبدل عسرهم يسراً. وأما غيرهم فمشروط بالتقوى كما تقدم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ وجوب السكن والنفقة للمطلقة طلاقاً رجعياً.

٢ـ وجوب السكنى والنفقة للمطلقة الحامل حتى تضع حملها.

٣ـ وجوب السكنى والنفقة للمتوفى عنها زوجها وهى حامل.

٤ـ المطلقة البائن والمبتونة لم يقض لهما رسول الله ﷺ بنفقة ولا سكنى[2] لحديث فاطمة بنت قيس أخت الضحاك، ومن الفضل الذي ينبغي أن لا ينسى ان كانت محتاجة الى سكن أو نفقة ان يسكنها مطلقها وينفق عليها مدة عدتها. وأجره عظيم لأنه أحسن والله يحب المحسنين.

٥ـ النفقة الواجبة تكون بحسب حال المطلق غنىً وفقراً والقاضى يقدرها ان تشاحا.

٦ـ المطلقة طلاقاً بائنا إن أرضعت ولدها لها أجرة إرضاعها حسب اتفاق الطرفين الأم والأب.

٧ـ بيان القاعدة العامة وهى أن لا تكلف نفس إلا وسعها.

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾

---

١) في الآية دليل على وجوب نفقة الولد على والده وأما الأم فلا إلا لضرورة كأن يموت الوالد أو يعجز، وكانت الأم قادرة فلتنفق وجوباً على طفلها.

(٢) وصف المالكية حديث فاطمة بالغرابة، وأن عمر رضي الله عنه لم يقل به، وقال: لا نترك كتاب الله لقول امرأة يعني أن الآية عامة في كل مطلقة لا فرق بين البائن وغيرها، فالسكنى والنفقة للجميع وهو أرحم وأعظم أجراً والله أعلم.

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

وكأين من قرية	: أي وكثير من قرية أي مدينة .
عتت عن أمر ربها	: أي عصت يعنى أهلها عصوا ربهم ورسله .
عذاباً نكراً	: أي فظيعاً
ذكراً رسولاً	: أي القرآن وأرسل إليكم رسولاً هو محمد ﷺ .
من الظلمات إلى النور	: أي من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد .
قد أحسن الله له رزقا	: أي رزق الجنة التى لا ينقطع نعيمها أبداً .
ومن الأرض مثلهن	: أي سبع أرضين أرضاً فوق أرض كالسموات سماء فوق سماء .
يتنزل الأمر بينهن	: أي الوحي بين السموات والأرض .
لتعلموا ان الله على كل شيء قدير	: أي أعلمكم بذلك الخلق العظيم والتنزيل العجيب لتعلموا . .

معنى الآيات :

لما قرر تعالى أحكام الطلاق والرجعة والعدة والنفقات وقال ذلك أمر الله أنزله إليكم ، وأوجب

العمل به حذر في هذه الآية من إهمال تلك الأحكام وتجاهلها وعدم القيام بها فقال: ﴿وكأين من[1] قرية﴾ أي كثير من المدن عتا أهلها أي ترفعوا متكبرين عن أوامر الله ورسله فلم يمتثلوها وعن الحقوق فلم يؤدوها حاسبها[2] الله تعالى في الدنيا حساباً شديداً وعذبها عذاباً نكراً أي[3] فظيعاً. فذاقت بذلك وبال أمرها أي عقوبته وكان عاقبة أمرها خسراً أي خساراً وهلاكاً وأعد الله لهم عذاباً شديداً هو عذاب يوم القيامة وفي تكرار الوعيد تحذير من الوقوع فيه بالشرك والظلم.

وقوله تعالى ﴿فاتقوا الله﴾ أي خافوا عقابه فلا تهملوا أحكامه ولا تعطلوها فيحل بكم ما حل بغيركم ممن عتوا عن أمر ربهم ورسله يا أولى الألباب أي العقول الذين آمنوا قد أنزل إليكم ذكراً هو القرآن ﴿رسولاً﴾[4] هو محمد ﷺ ﴿يتلو عليكم آيات الله مبينات[5]﴾ واضحات في نفسها لا خفاء فيها ولا غموض، ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات أي ظلمات الكفر والشرك الى النور نور الإيمان والتوحيد والعمل الصالح.

وقوله تعالى ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً ندخله[6] جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن[7] الله له رزقا﴾ هذا وعد كريم من رب رحيم يعد كل من آمن به وعمل صالحاً أن يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن له فيها رزقاً وهو نعيم الجنة الذى لا ينفد ولا ينقطع أبداً.

وقوله ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن[8]﴾ أي سبع أرضين واحدة فوق الأخرى كالسموات سماء فوق سماء هذا هو الله المعبود بحق الذي لا إله غيره ولا رب سواه.

وقوله تعالى: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾ أي[9]

---

(١) (وكأين): اسم لعدد كثير مبهم يفسره ما يميزه بعده من اسم مجرور بمن وهو بمعنى: كم الخبرية، والمراد بالقرية: أهلها والقرية: المدينة الكبيرة.

(٢) (حاسبناها) بمعنى: جازيناها مجازاة دقيقة دقة الحساب.

(٣) قرأ نافع (نُكراً) بضم النون والكاف، وقرأ حفص (نُكراً) بضم النون وإسكان الكاف. والعذاب النكر: ما ينكره المرء من فظاعة كيفيته إنكاراً شديداً.

(٤) جائز أن يكون (رسولاً) بدل اشتمال من (ذكر) لتوقف الذكر على الرسول، وجائز أن يكون (رسولاً) معمولا لفعل محذوف تقديره وأرسل إليكم رسولاً، وهذا واضح.

(٥) قرأ نافع (مبينات) بفتح الياء، وقرأ حفص (مبينات) بكسرها والمعنى واحد.

(٦) قرأ نافع ندخله بالنون وقرأ حفص يدخله بالياء.

(٧) أحسن الله له رزقاً قوله أحسن أبلغ من اعد لان الإحسان لا يكون إلا بعد الإعداد.

(٨) كون الأرضين سبعاً يشهد له قوله تعالى ومن الأرض مثلهن أي مثل السموات السبع ويشهد له السنة الصحيحة فقد روى عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين. ومثله أبي هريرة وفيه قال رسول الله ﷺ لا يأخذ أحد شبراً من الأرض بغير حق إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة.

(٩) المراد بالأمر هنا أمر الله تعالى وهو ما يدبر به شؤون مخلوقاته في الأرض والسماء. من موت وحياة وغيرهما وأمر ونهي وعطاء ومنع وغيرهما، والله أعلم بمراده من كلامه وهو العليم الحكيم.

أعلمكم بخلقه العظيم من السموات والأرضين وبتنزل الأمر بينهن في كل وقت وحين لتعلموا أنه تعالى على كل شيء قدير لترغبوا فيما عنده وأنه أحاط بكل علما لترهبوه وتراقبوه، وبذلك تتهيؤن لإنعامه ورضاه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ التحذير من ترك الأحكام الشرعية وإهمالها والعبث بها.

٢ـ بيان منة الله على هذه الأمة بإنزال القرآن عليها وإرسال الرسول إليها.

٣ـ بيان أن الكفر ظلمة وان الإيمان نور.

٤ـ بيان عظمة الله تعالى وسعة علمه.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ (١)

مدنيـة وآياتها اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا

(١) وتسمى سورة النبي أيضاً.

خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

لم تحرم ما أحل الله لك	: أي لم تحرم جاريتك مارية التي أحلها الله لك .
تبتغي مرضات أزواجك	: أي بتحريمها .
قد فرض لكم تحلة أيمانكم	: أي شرع لكم تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة .
وإذْ أسرَّ النبي الى بعض أزواجه	: هي حفصة بنت عمر رضي الله عنهما .
حديثا	: هو تحريم مارية وقوله لها لا تفشيه .
فلما نبأت به	: أي نبأت حفصة عائشة أي أختبرها به ظناً منها أنه لا حرج في ذلك باجتهادٍ .
وأظهره الله عليه	: أي اطلعه عليه أي على المنبأ به .
عرف بعضه	: أي لحفصة .
وأعرض عن بعض	: أي تكرما منه ﷺ .
إن تتوبا الى الله	: أي حفصة وعائشة رضي الله عنهما تقبل توبتكما .
فقد صغت قلوبكما	: أي مالت الى تحريم مارية أي سرَّكما ذلك .
وإن تظاهرا عليه	: أي تتعاونا أي على النبي ﷺ فيما يكرهه .
فإن الله هو مولاه	: أي ناصره .
وصالح المؤمنين	: أي أبوبكر وعمر رضي الله عنهما .
والملائكة بعد ذلك ظهير	: أي ظُهراء وأعوان له .
قانتات	: أي عابدات .
سائحات	: أي صائمات أو مهاجرات .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل[1] الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور

---

(١) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا ، قالت فتواطأت أنا وحفصة إن أيتنا دخل عليها رسول الله ﷺ فلتقل إني أجد منك ريح مغافير : أكلت مغافير : فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له . فنزل لم تحرم ما أحل الله لك إلى أن تتوبا ، المغافير جمع مغفور بقلة من البقول .

رحيم﴾ في هذا عتاب من الله تعالى لرسوله ﷺ إذ حرم جاريته مارية ترضية[1] وذلك أنه ﷺ خلا بها في بيت إحدى نسائه فاطلعت عليه فقالت يا رسول الله في بيتي وعلى فراشي فجعلها أي مارية عليه حراماً ترضية لصاحبة الحجرة والفراش. فأنزل الله تعالى هذه الآيات مشتملة على هذه القصة فقال تعالى: ﴿يا ايها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ يعني جاريته مارية القبطية أم إبراهيم. ﴿تبتغي مرضات أزواجك﴾ أي تطلب رضاهن ﴿والله غفور رحيم﴾ بك فلا لوم عليك بعد هذا ولا عتاب فجاريتك لا تحرم عليك وكفر عن يمينك. إذ قال لها هي عليَّ حرام[2] ووالله لا أطؤها.

وقوله تعالى ﴿قد فرض لكم تحلة[3] أيمانكم﴾ أي ما تتحللون به من أيمانكم إذا حلفتم وهي ما جاء في سورة المائدة من قوله تعالى ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم وقوله تعالى والله مولاكم أي متولى أمركم وناصركم. وهو العليم بأحوال عباده الحكيم في قضائه وتدبيره لخلقه.

وقوله تعالى ﴿وإذْ أسر النبي﴾ أي أُذكر إذ أسر النبي لبعض أزواجه حديثا وهي حفصة بنت عمر رضي الله عنهما إذ قال لها لقد حرمت فلانة ووالله لا أطأها وطلب منها أن لا تفشى هذا السر. فحدثت به عائشة وكانت متصافية معها توادها.

فأطلع الله تعالى رسوله على ذلك. فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه لحفصة وأعرض عن بعض تكرماً منه ﷺ. قالت أي حفصة من أنبأك هذا؟ قال نبأني العليم الخبير. وقوله: إن تتوبا إلى الله أي حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما أي مالت إلى تحريم مارية أي سركما ذلك. وجواب الشرط تقديره تقبل توبتكما. وقوله تعالى: ﴿وان تظاهرا عليه﴾ أي تتعاونا عليه ﷺ فيما يكرهه، فإن تعاونكما يا حفصة وعائشة رضي الله عنكما لن يضره شيئاً فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين أبوبكر وعمر، والملائكة بعد ذلك ظهير له أي ظهراء وأعوان له عن كل من يؤذيه أو يريده بسوء.

---

(١) ترضية أي لبعض أزواجه أي طلباً لرضاها وهي حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.

(٢) اختلف أهل العلم فيمن حرم شيئاً فإن كان غير الزوجه فالجمهور على انه لا يحرم ولا كفارة عليه، وبعض يقول عليه كفارة يمين: أما الزوجة فقد بلغت الأقوال فيها ثمانية عشر قولاً أعدلها أن من حرم زوجته بلفظ انت حرام أو بالحرام إن نوى طلاقها فعليه طلقة، وإن لم ينو طلاقها فإن عليه كفارة يمين كما في صحيح مسلم عن ابن عباس قال: إذا حرم الرجل عليه امرأته فهي يمين يكفرها، وقال: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.

(٣) تحلة اليمين كفارتها أي من حلف على شيء وأراد أن يعود إليه فليكفر عن يمينه وليأت ما حلف عليه.

وقوله تعالى ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾، وفي هذا تخويف شديد لأمهات المؤمنين وتأديب رباني كبير لهن إذ وعد رسوله أنه لو طلقهن لأبدله خيراً منهن ﴿مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات﴾ أي[1] صائمات أو مهاجرات، ﴿ثيبات وأبكاراً﴾ أي بعضهن ثيبات وبعضهن أبكاراً إلا أن الرسول ﷺ لم يطلقهن والله تعالى لم يبدله فهن زوجاته في الدنيا زوجاته في الآخرة هذا وأنبه إلى أن خلافاً كبيراً بين أهل التفسير في الذي حرمه رسول الله ﷺ على نفسه وعاتبه ربه عليه. وأحله الله له هل هو شراب كان يحبه، أو هو جاريته مارية ومن[2] الجائز أن يكون غير ما ذكر؛ لأن الله تعالى لم يذكر نوع ما حرم رسوله على نفسه، وإنما قال لم تحرم ما أحل الله لك. والجمهور على أن المحرم مارية، وفي البخاري أنه العسل والله أعلم فلذا أستغفر الله تعالى أن أكون قد قلت عليه أو على رسوله مالا يرضيهما أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله إن ربي غفور رحيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير نبوته ﷺ وبشريته الكاملة.

٢- أخذ الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى من هذه الآية أن من قال لزوجته أنت حرام أو حرمتك وهو لم ينو طلاقها أن عليه كفارة يمين لا غير، وذكر القرطبي في هذه المسألة ثمانية عشر قولاً للفقهاء أشدها البتة وأرفقها أن فيها كفارة يمين كما هو مذهب الامامين الشافعي واحمد رحمهما الله تعالى.

٣- كرامة الرسول ﷺ على ربه.

٤- فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا

(١) قيل سمي الصائم سائحاً لأن السائح لا زاد معه فكذلك الصائم لا زاد معه.

(٢) نعم من الجائز أن يكون غير ماذكر ولكن بتتبع لروايات وأقوال العلماء سلفاً وخلفاً ثبت أن الأمر يدور بين أن ماحرمه ﷺ على نفسه ترضية هو جاريته مارية، أو العسل لا غيرهما.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾

شـرح الكلمات :

قوا أنفسكم وأهليكم : أي اجعلوا لها وقاية بطاعة الله والرسول ﷺ.

ناراً وقودها الناس والحجارة : أي توقد بالكفار والأصنام التي تعبد من دون الله ، لا بالحطب ونحوه.

لا تعتذروا اليوم : أي لأنه لا ينفعكم اعتذار، يقال لهم هذا عند دخولهم النار.

توبة نصوحـا : أي توبة صادقة بأن لا يعاد الى الذنب ولا يراد العود إليه.

يومَ لا يخزى الله النبي والذين آمنوا : أي بإدخالهم النـار.

يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم : أي أمامهم ومن كل جهاتهم على قدر أعمالهم.

ربنا أتمم لنا نورنا : أي إلى الجنة، لأن المنافقين ينطفيء نورهم.

معنى الآيـات :

قوله تعالىٰ ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم[1] وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ هذا نداء الله إلىٰ عباده المؤمنين يعظهم وينصح لهم فيه أن يقوا أنفسهم وأهليهم[2] من زوجة وولد، ناراً عظيمة ، وقودها

(١) قال علي رضي الله عنه ومجاهد وقتادة: قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم . قال ابن العربي هذا هو الصحيح لما يعطيه العطف الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل كقول الشاعر :

علفتها تبناً وماء بارداً ، أي وسقيتها ماءً بارداً.

(٢) إن الوقاية لا تتم إلا بالإيمان وصالح الأعمال بعد اجتناب الشرك والمعاصي، وهذا يتطلب العلم بذلك وتوطين النفس على العمل بما يعلم من ذلك فعلا لما يفعل وتركاً لما يترك فليأخذ العبد نفسه وأهله بهذا نصحاً له ولهم حتى يقي نفسه ويقي أهله.

أي ما توقد به الناس من المشركين والحجارة التي هي أصنامهم التي كانوا يعبدونها يقون أنفسهم بطاعـة الله ورسوله تلك الطاعة التي تزكي أنفسهم وتؤهلهم لدخول الجنة بعد النجاة من النار.

وقوله تعالى ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي على النار قائمون عليها وهم الخزنة التسعة عشرة غلاظ القلوب[1] والطباع شداد البطش إذا بطشوا ولا يعصون الله أي لا يخالفون أمره، وينتهون إلى ما يأمرهم به وهو معنى ويفعلون ما يؤمرون.

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم[2]﴾ هذا يقال لأهل النار ينادون ليقال لهم: لا تعتذروا اليوم حيث لا ينفع الاعتذار. وإنما تجزون ما كنتم تعملون الحسنة بالحسنة والسيئة بالسيئة.

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا﴾ هذا هو النداء الثاني الذي ينادى فيه الله تعالى عباده المؤمنين يأمرهم فيه بالتوبة العاجلة النصوح التى لا يعود صاحبها الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع[3]، ويعدهم ويبشرهم يعدهم بتكفير سيئآتهم، يبشرهم بالجنة دار النعيم المقيم فيقول﴿عسى[4] ربكم أن يكفر عنكم سيئآتكم ويدخلكم﴾ أي بعد ذلك ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه أي بإدخالهم الجنة .وقوله تعالى ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبـأيمـانهم﴾ أي وهم مجتـازون الصـراط يسـألـون ربهم أن يبقي[5] لهم نورهم لا يقـطعه عنهم حتى يجتازوا الصراط وينجوا من السقوط في جهنم كما يسألونه أن يغفر لهم ذنوبهم التى قد يُردُّون بها الى النار بعد اجتياز الصراط.

وقولهم: إنك على كل شيء قدير هذا توسل منهم لقبول دعائهم حيث توسلوا بصفة القوة والقدرة لله تعالى فقالوا إنك على كل شيء قدير فأتمم لنا نورنا واغفر لنا.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ وجوب العناية بالزوجة والأولاد وتربيتهم وأمرهم بطاعة الله ورسوله ونهيهم عن ترك ذلك.

٢ـ وجوب التوبة الفورية على كل من أذنب من المؤمنين والمؤمنات وهى الإقلاع من الذنب فوراً

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وروى مرفوعاً ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب.

(٢) لأن عذرهم لا ينفعهم. والقصد من هذا النهي هو تحقيق اليأس لهم.

(٣) قال القرطبي اختلف في تحديد التوبة النصوح على ثلاث وعشرين قولاً وقدم ما في التفسير على تلك الأقوال.

(٤) عسى من الله تعالى واجبة، ويشهد لهذا قوله ﷺ التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(٥) قال ابن عباس ومجاهد: هذا دعاء المؤمنين حين أطفأ الله نور المنافقين.

أي تركه والتخلي عنه، ثم العزم على أن لا يعود اليه في صدق، ثم ملازمة الندم والاستغفار كلما ذكر ذنبه استغفر ربه وندم على فعله وان كان الذنب متعلقاً بحق آدمي كأخذ ماله أو ضرب جسمه أو انتهاك عرضه وجب التحلل منه حتى يعفو ويسامح.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات:

جاهد الكفار : أي بالسيف.

والمنافقين : أي باللسان.

واغلظ عليهم : أي أشدد عليهم في الخطاب ولا تعاملهم باللين.

فخانتاهما : أي في الدّين إذ كانتا كافرتين.

فلم يغنيا عنهما : أي نوح ولوط عن امرأتيهما.

من الله شيئاً : أي من عذاب الله شيئاً وإن قلَّ.

امرأة فرعون : أي آسيا بنت مزاحم آمنت بموسى.

أحصنت فرجها	: أي حفظته فلم يصل اليه الرجال لا بنكاح ولا زنا.
فنفخنا فيه من روحنا	: أي نفخنا في كُمّ درعها بواسطة جبريل الملقب بروح القدس.
وصدقت بكلمات ربها	: أي بولدها عيسى أنه كلمة الله وعبده ورسوله.

معنى الآيات :

في الآية الأولى (٩) يأمر تعالى رسوله محمداً ﷺ بعدما ناداه بعنوان النبوة تشريفاً وتكريماً يأمره بجهاد الكفار والمنافقين فالكفار بالسيف، وشن الغارات عليهم[١] حتى يسلموا، والمنافقون بالقول الغليظ والعبارة البليغة المخيفة الحاملة للوعيد والتهديد. وقوله تعالى: ﴿واغلظ عليهم﴾ أي أشدد وطأتك على الفريقين على المنافقين باللسان، وعلى الكافرين بالسنان. ومأواهم[٢] جهنم وبئس المصير إذا ماتوا على نفاقهم وكفرهم، أو من علم الله موتهم على ذلك. وقوله تعالى في الآية الثانية (١٠) ضرب الله مثلاً في عدم انتفاع الكافر بقرابة المؤمن مهما كانت درجة القرابة عنده. وهو امرأة نوح[٣] وامرأة لوط إذ كانت كل واحدة منهما تحت نبي رسول فخانتاهما في[٤] دينهما فكانتا كافرتين فامرأة نوح تفشى سر من يؤمن بزوجها وتُخبر به الجبابرة من قوم نوح حتى يبطشوا به وكانت تقول لهم إن زوجها مجنون، وامرأة لوط كانت كافرة وتدل المجرمين على ضيوف لوط إذا نزلوا عليه في بيته وذلك في الليل بواسطة النار، وفي النهار بواسطة الدخان. فلما كانتا كافرتين لم تُغن عنهما قرابتهما بالزوجية شيئاً. ويوم القيامة يقال لهما: ادخلا النار مع الداخلين من قوم نوح وقوم لوط. هذا مثل وآخر في عدم تضرر المؤمن بقرابة الكافر ولو كانت القرابة الزوجية وما أقواها، وهو ـ المثل ـ إمرأة فرعون الكافر الظالم آسيا بنت مزاحم كانت قد آمنت بموسى مع من آمن فلما عرف فرعون إيمانها أمر بقتلها فلما علمت بعزم الطاغية على قتلها قالت في مناجاتها لربها: رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله الذي هو الكفر والظلم حتى لا أكون كافرة بك ولا ظالمة لأحد من خلقك، ونجني من القوم الظالمين أي من عذابهم فُشدت أيديها وأرجلها لتلقى عليها صخرة عظيمة إن هى أصرت على الإيمان فرفعت بصرها إلى السماء فرأت بيتها في الجنة ففاضت روحها شوقاً الى الله والى بيتها فى الجنة وقد

---

(١) من المعلوم ان الكفار يُدعون إلى الإسلام أولاً مبيناً لهم ما فيه من الهدي والخير ومايجلبه لأهله من الكمال والإسعاد، فإن أبوا فليقاتلوا.

(٢) ومأواهم جهنم هذا عائد على الفريقين الكافرين والمنافقين معاً.

(٣) قال مقاتل اسم امرأة نوح وَالِهَةُ واسم امرأة لوط والعة وروي مرفوعاً بضعف ان اسم امرأة نوح واغلة وامرأة لوط والهة والله أعلم.

(٤) الإجماع أن خيانة المرأتين كانت في الدين ولم تكن في العرض وإنما هي في الكفر والنفاق.

رأته فوصلت الصخرة اليها بعد أن فاضت روحها فنجاها الله من عذاب القتل الذي أراده لها[1] فرعون وعصابته الظلمة الكافرون.

وقوله تعالى ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها. عطف تعالى مريم على آسيا ليكون المثل مُكوناً من امرأتين مؤمنتين، كالمثل الأول كان مُكوناً من امرأتين كافرتين فقال عز وجل ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها عن الرجال في الوقت الذي عم البغاء والزنا ديار بني اسرائيل كما هي الحال اليوم في ديار اليهود وأمثالهم قد لا تسلم امرأة من الزنا بها فلم يضر ذلك مريم لما كانت عفيفة طاهرة بل أكرمها الله لما أحصنت فرجها بأن أرسل إليها روحه جبريل عليه السلام وأمره أن ينفخ في كم درعها فسرت النفخة بقدرة الله تعالى في جسمها فحملت بعيسى الذي كان بكلمة الله كن فكان في ساعة وصول هواء النفخة وولدته للفور كرامة الله للتى أحصنت فرجها خوفاً من الله وتقربا اليه، وما ضرها أن العهر والزنا قد انتشر حولها ما دامت هى طاهرة كما لم يضر كفر فرعون آسيا الطاهرة. وكما لم ينفع إيمان وصلاح نوح ولوط امرأتيهما الكافرتين الخائنتين.

قال ابن عباس رضي عنهما ما بغت امرأة نبي قط، وهو كما قال فوالله ما زنت امرأة نبي قط لولاية الله تعالى لأنبيائه فكيف يخزيهم ويذلهم حاشاه تعالى أن يخزي أولياءه أو يذلهم فالمراد من الخيانة المذكورة في قوله تعالى فخانتاهما الخيانة في الدين وإفشاء الأسرار.

وقوله تعالى: وصدقت بكلمات ربها أي بشرائعه وبكتبه[2] التي أنزلها على رسله، وكانت من القانتين[3] أي المطيعين لله تعالى الضارعين له المخبتين.

---

(١) قال يحيى بن سلام: ما ضربه الله مثلا للذين كفروا يحذر به عائشة وحفصة رضي الله عنهما من مخالفتهما حين تظاهرتها على رسول الله ﷺ وما ضربه تعالى مثلا لامرأة فرعون ومريم بنت عمران ضربه ترغيباً لعائشة وحفصة في التمسك بالطاعة والثبات عليها والصحيح انه حث لكل المؤمنين على الصبر في الشدة مهما كانت.

(٢) قرأ نافع وكتابه وجائز أن يكون الإنجيل وهو كتاب ابنها عيسى عليه السلام وجائز أن يكون المراد به ما كتبه الله وقدره وقرأ حفص وكتبه بالجمع أي آمنت بسائر كتب الله تعالى المنزلة وعليه فالكتاب في قراءة نافع اسم جنس صادق على جميع كتب الله تعالى المنزلة.

(٣) لم قال من القانتات؟ لانه أراد من القوم القانتين وهم المكثرون من العبادة وفي هذا ثناء عليها وعلى قومها الصالحين وأنها نبتت طيبة في نبات طيب كقول القائل: وهل ينبت الخطي إلا وشيجه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- وجـوب الجهاد في الكفار بالسيف وفي المنافقين باللسان، وعلى حكام المسلمين القيام بذلك لأنهم خلفاء النبي ﷺ في أمته.

٢- تقرير مبدأ: لا تزر وازرةٌ وزر أخرى. فالكافر لا ينتفع بالمؤمن يوم القيامة.

٣- والمؤمن لا يتضرر بالكافر ولو كانت القرابة روحية نبوة أو انسانية أو ابوة أو بنوة فإبراهيم لم يضره كفر آزر، ونوح لم يضره كفر كنعان ابنه، كما أن آزر وكنعان لم ينفعهما إيمان وصلاح الأب والإبن.

هذا وقرابة المؤمن الصالح تنفع المؤمن دون الصالح لقوله تعالى والذين[1] آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّياتهم.

---

(١) الآية في سورة الطور.